المسرحية الطفلية في سورية

بقلم: سمر روحي الفيصل

غير خاف على أحد أن التمثيل امر فطري ، لان الاطفال يعبرون بوساطته عن مشاعرهم وافكارهم ، ويشبعون فيه حاجتهم الى الحركة والايماء والتقليد . « ولعل المسرحية بطبيعتها مصدر متعة للاطفال ، سواء أكانت شعرا أم نثرا أم مزيجا منهما ، لانها تقتضي منهم حركة ونشاطا وتقليدا لشخصيات مختلفة . وهم يبتهجون عند اعدادا الامكنة للقيام بهذه الادوار »(١)! غير أن الباحث في المسرحية الطفلية في الوطن العربي سيجد نفسه أمام تناقض صارخ ، اذ يحمل المسرحيون والتربويون وعيا بأثر المسرحية في الطفل ، ولكن الواقع الاجتماعي والتربوي لايضم تنفيذا لهذا الوعي أواقترابا منه في أسوأ الأحوال . ويستطيع المرء ملاحظة ذلك من ندرة الدراسات عن المسرحية الطفلية ، ومن فقدان الكتب الخاصة بهذا الامر ، وان وجد شيء من ذلك فهو مترجم عن اللغات الاخرى ككتاب مارك توين . لقد أنشىء مسرح الاطفال في موسكو عام ١٩١٨ ، وخضع منذ تلك الفترة لاشراف المربين والاخصائيين بشؤون الطفل والعاملين في القضايا المتممة للمسرح كالاضاءة والملابس والتصميم . في حين انشىء المسرح المدرسي في سورية عام ١٩٧٠ ، وخضع لاشراف ادارة مركزية في وزارة التربية وشعب فرعية في مديريات التربية في المحافظات(٢) صحيح اننا تأخرنا أكثر من خمسين سنة عن روسية ، ولكننا مازلنا متأخرين حتى هذه الساعة ذلك أن المسرح المدرسي لم يلق صيغة تجعله يمارس تأثيره في الطفل . ثم ان هذا المسرح المدرسي لم يستمر تحت اشراف الادارة المركزية في وزارة التربية ، بل ألحق القسم الخاص بالمدرسة الابتدائية بمنظمة الطلائع حين أنشئت أواخر عام ١٩٧٤ وبقي القسم الخاص بالمرحلتين الاعدادية والثانوية خاضعا لاشراف وزارة التربية ، دون أن يتم تعاون حقيقي بين الوزارة ومنظمة الطلائع في شأن تطوير المسرح الطفلي ودفعه نحو التطبيق العملي ! وبقي هذا المسرح مقصورا على اللوحات التمثيلية التي يعدها أفراد عاديون في مناسبات وطنية وقومية . بل ان شأن المسرح المدرسي في المحافظات السورية امرو أدهى . فالمسؤول عن هذا المسرح ليست له غرفة خاصة ، ولامكتب يجلس وراءه بل هو ملحق بنادي الفنون التابع لشبيبة الثورة كما هي الحال في محافظة حمص ، أوله مكان يجلس فيه ولكنه يفتقر الى أدوات التنفيذ . وقد قامت منظمة الطلائع مؤخرا بدورة تدريبية لهؤلاء المشرفين مدتها ستة أشهر ، حاولت فيها دفع المسرح الطفلي نحو صيغة مقبولة في الممارسة العملية ، ولكن نتائج هذه الدورة لم تتضح بعد . لهذا كله يكتسب الحديث عن الوعي النظري المسرحي اهمية خاصة ، وبالذات في غياب الممارسة العملية .

الوعي المسرحي النظري في سورية

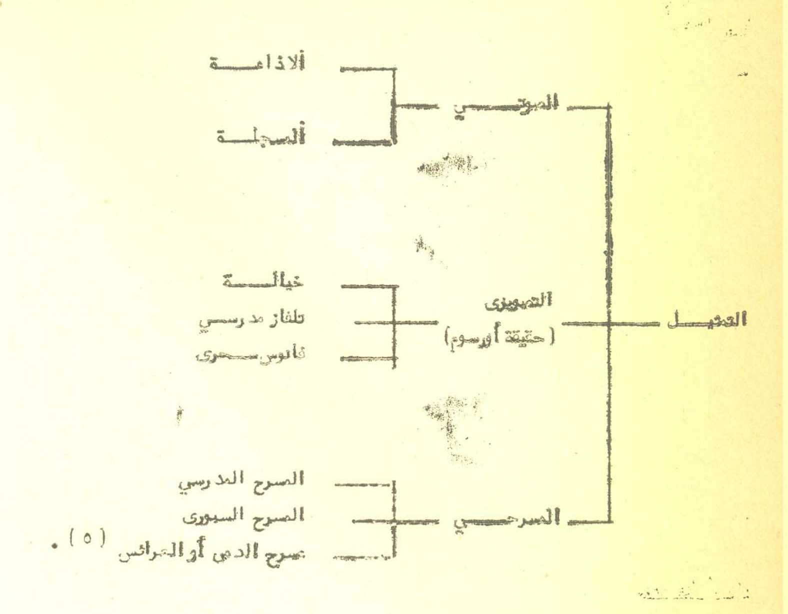
ان التماس الأمور التي تشير الى الوعي المسرحي النظري في سورية ليس هينا ، لان الوعي في العادة ـ تعبير عن المدى الحضاري الذي قطعة المجتمع . واذا كان هذا الوعي خاصا بالمسرح الطفلي فان الصعوبة ستزداد تبعا لاستقلال هذا المسرح بمقومات لايضمها مسرح الكبار ، من حيث النص والتمثيل والاخراج . وفي اعتقادي أن النقاط تعطي فكرة مقبولة عن هذا الوعي .

١ ـ مفهوم المسرحية الطفلية في سورية

يلاحظ المرء أن هناك اتفاقا عاما على أن المسرحية الطفلية تعني المسرح الذي يؤديه الاطفال ويتعاونون على اخراج نصه . وهذا المفهوم لايمنع من اشراف المعلم أوغيره ، اوتقديم المعونة الفنية في قضايا الاخراج فالمسرحية الطفلية عمل تعاوني جماعي ، يؤديها أطفال متفاوتون في السوية أمام جمهور اخر من الاطفال . انه مسرح من الاطفال واليهم ، ومرد اختلاف السوية في الاطفال المشاركين الى ان المسرح في مفهوم الوعي المسرحي النظري في سورية خاصا بذوي الكفاءات العالية في الاداء والالقاء والتمثيل ، بل هو عمل يسمح بطبيعته للاطفال من ذوي الكفاءات المتفاوتة بالمشاركة فيه . فالطفل ذو الكفاءة الضعيفة يجد فيه دورا ثانويا والطفل ذو الكفاءة المتوسطة يجد دورا يناسب كفاءته والطفل ذو الكفاءة العالية يجد في الشخصيات الرئيسة مايجعل كفاءته تترسخ وتبرز للعيان . وينبغي أن نشدد كثيرا على هذه النقطة تبعا لوجود فروق واضحة بين الاطفال في المرحلة العمرية الواحدة ، ولاننا نهدف من هذا المسرح الى تحقيق غايات كثيرة لايؤديها الأطفال المجدون وحدهم ، بل يقع عبء تحقيقها على الاطفال كلهم مهما تكن سويتهم ومقدرتهم .

يدخل في حيز الوعي النظري الهدف المرجو تحقيقه من المسرحية الطفلية ، وهو هدف خاص ومستقبلي في الوقت نفسه . انه هدف خاص بمعنى انه يهتم بالطفل ويعود الارتباط بالمسرح ويخلق جمهورا مسرحيا ويحقق اهدافا لغوية وتربوية واجتماعية . وهو هدف مستقبلي لان الاهتمام بالطفولة لا يعني الاهتمام بالطفل وحده ، بل يعني تحديد اتجاه المجتمع المستقبلي ،من حيث « تهيئة الظروف المناسبة للاستفادة من المسرح في عملية الوعي الحضاري والاجتماعي »(٣) ان المسرح المدرسي « هو المنطلق الصحيح والوحيد حين نسعى الى نهضة مسرحية عامة . فمن المدارس يخرج ممثل المستقبل ،والكاتب المسرحي ، والمخرجون ، والفنيون المسرحيون الذين تقوم عليهم النهضة المقبلة وجمهور المستقبل . اذ مامن ريب في أن النهضة المسرحية متى بدأت في المدارس ، ورسخت تقاليدها ، نبت عندنا جيل بعد جيل لايرى في المسرح مجرد تسلية عابرة وانما يرى فيه واحدا من أعمدة الثقافة القومية الدائمة . إن المسرح المدرسي يدرب الطلاب على الحياة تدريبا مفعما بالعظمة والاحكام الاخلاقية ، ويمتص منهم مقدارا كبيرا من حيويتهم ونشاطهم الذهني الذي لايجدون له منصرفا الآن الا في الخيالة ـ السينما ـ على الرغم من تأثيرها السيء في كثير من الاحيان . وهو مدرسة تعلم الانضباط والانقياد ، فكل شيء فيه منظم مؤقت بالثواني من اللفظ الى الحركة الى الانفعال وهي صفات لابد من تنميتها عند الناشئين في وطن يريد تنسيق الخطوات وتنظيمها للافادة منها جميعا دون ان يذهب منها أي جزء ولو قل ، عن طريق الفوضى »(٤) ان العاملين في حقل التربية يؤكدون دوما على ان التمثيل درس عملي في السلوكيات ويلتفتون الى أن هذا الدرس قد يكون مصطنعا في بادىء الامر ، ولكنه لايلبث ان يغدو شكلا من اشكال التدريب على تعديل السلوك ، ثم يغدو في مرحلة لاحقة تقمصا مفيدا . واذا كان هؤلاء التربويون يؤكدون على تعديل السلوك وتبديله فانهم لاينسون الجانب الاجتماعي في العملية التمثيلية ، لاينسون المستقبل وهم ينظرون الى الحاضر صحيح ان هذه النقطة شديد الارتباط بعملية التعلم والتعليم ، ولكنها تكتسب في المسرحية الطفلية بريقا خاصا ، تبعا لمقدرة المسرحية على تحقيق الاهداف المرسومة بشكل غير مباشر .

يدخل في مفهوم المسرحية الطفلية أيضا موقع المسرح المدرسي من العملية التمثيلية العامة . فالمسرح المدرسي في عرف الوعي المسرحي النظري جزء من التمثيل الذي تراه العملية التربوية ذا أجزاء ثلاثة : التمثيل الصوتي ـ الاذاعة ـ المسجلة ـ التمثيل التصويري ـ خيالة تلفاز مدرسي ـ فانوس سحري ـ التمثيل المسرحي ـ المسرح المدرسي ـ المسرح السبوري مسرح الدمى والعرائس ـ .



(٥) .

الواضح ان التمثيل المسرحي بأقسامه الثلاثة – المسرح المدرسي – المسرح السبوري – مسرح الدمى – شيء آخر غير التمثيل الصوتي والتصويري ، وان هذين النوعين لايسميان – مسرحية – الا تجاوزا . الا أن مفهوم المسرحية الطفلية في سورية يتمسك بأنواع التمثيل الذي تراه العملية التربوية ذا أجزاء ثلاثة : جزءا منها مكملا للاجزاء التربوية والتعليمية وليس منفصلا بذاته . انه – دعامة قوية من دعائم التربية والتعليم –(٦) كما أنه « معرض لكل الفنون كالرسم والموسيقا والغناء »(٧) .

٢ – دور المسرحية الطفلية في سورية :

يعلق الوعي النظري المسرحي في سورية على المسرحية الطفلية آمالا كبيرة ، تبعا للمهمة التي تستطيع أداءها ، وللخدمات التي تقدمها للعملية التربوية وفي مقدور المرء اختزال مهمة المسرحية الطفلية في الأمور التالية :

الاول : دور المسرحية الطفلية في تعليم اللغة للاطفال:

– المسرحية وسيلة مجدية لتدريب ألسنة الاطفال على التعبير السليم ، واجادة النطق والكلام في وضوح ودقة وفي جو طبيعي ، وتنمية ثروتهم اللغوية في الاساليب ، والنهوض بأذواقهم الادبية والفنية ، والكشف عن ذوى المواهب منهم ، وتوجيههم واستغلال استعداداتهم .

– انها من خير العوامل في تعويد الاطفال فن الالقاء والتمثيل واتقان التعبير الصادق الحي عن أنفسهم ، كما تعودهم فن الاستماع وتوضيح مخارج الحروف وطريقة الكلام والالقاء والتحكم في الصوت وتعبيرات الوجه والمشية والجلسة وحركات اليدين .

– المواقف التمثيلية علاج نافع لكثير من حالات الخجل والارتباك وعيوب النطق لدى الاطفال وطبعهم على الاتزان والجرأة في القول(٨) .

الثاني : دور المسرحية الطفلية في تحقيق الاهداف التربوية :

– انها وسيلة لتهذيب النفوس وتربية الوجدان وصقل العاطفة وانماء الخيال وكسب المهارة .

– انها من العوامل المهمة في تثقيفهم وتثبيت المعلومات والحقائق في عقولهم ، لان أثر المسرحية أعمق وابقى من آثار اساليب الشرح العادي ، ولان الاطفال يكونون في حالة تلبية واستجابة تجعلهم أشد شوقا وأعظم انتباها واقبالا على مايمارسونه .

– تبعث فيهم روح المرح والنشاط ، وتشوقهم لاداء واجباتهم ، وتحبب اليهم الحياة المدرسية وتخلع على أعمالهم فيها روحا جديدة تبعد عنهم الحياة الخاملة التي لاتتفق والاتجاهات التربوية الحديثة .

– تمد الاطفال بمعلومات تاريخية واجتماعية ، وتكشف لهم عادات الناس وأخلاقهم وأساليبهم في الحياة .

– يرد – هنا – ماذكرناه من قبل من ان المسرحية شكل من اشكال التدريب على تغيير السلوك ، وهو شكل مصطنع بادىء الامر ، ثم لايلبث حتى يغدو تقمصا مفيدا .

ومن أنها تمتص مقدارا كبيرا من حيوية الاطفال ونشاطهم الذهني الذي لايجدون له منصرفا الا في الخيالة ، على الرغم من تأثيرها السيء فيهم في كثير من الاحيان .

ومن أنها مدرسة تعلم الانضباط والانقياد ، وهي صفات لا بد من تنميتها عند الناشئين(٩) .

ـ تساعد على اثارة خيال الطفل وتحريضه على نحو لاتيسره أية وسيلة تعليمية أخرى .

كما تدرب الطفل على الملاحظة ، وتنميها لديه ، وتدفعه الى التنقيب والاكتشاف .

ـ يذكي العمل المسرحي عاطفة الجمال عند الطفل وينميها ويربطها بموضوعات نقصد تعليمها مما يحقق لديه فهما جيدا لهذه الموضوعات من جهة ، ويساعده من جهة أخرى ـ على ادراك الجمال وطلبه(١٠) .

الثالث : الدور الاجتماعي للمسرحية الطفلية :

ـ تضفي على من يشاهدونها من الاطفال كثيرامن المرح والبهجة والسرور ، وتخلصهم من وطأة الحياة الرتيبة وماتشيعه في النفوس من الملل والتعب .

ـ توثق العلاقة بين المدرسة والبيئة ، وتعالج عديدا من المشكلات الاجتماعية الخاصة بالطفل .

ـ تتيح للطفل فرصة تحمل المسؤوليات ،وتعده للحياة العملية ، وتعوده مجابهة الجماهير دون خوف او تردد(١١) .

ـ العمل المسرحي عمل جماعي يقتضي اشتراك الاخرين ، لذلك يندرج في مجالات تربية الطفل على العمل الجماعي ، وماينطوي عليه من تدريبه على الاخذ والعطاء داخل الجماعة ، والتنسيق معأفرادها(١٢) كما أنه مدرسة للسلوك الجماعي ، لانه تعاط وتعاطف وتعاون عند الممثلين والفنيين ، واصفاء وانفعال مهذب معبر عند الجمهور .

ـ ترسخ حب المسرح في نفوس الاطفال ، وتمهد لنهضة مسرحية مستقبلية ، حين تضع لنفسها تقاليد محددة ، وحين تجعل المسرح عملية ثقافية هامة وليس تسلية عابرة .

٣ ـ شروط المسرحية الطفلية في سورية :

يدقق الوعي النظري في شؤون المسرحية الطفلية فيضع لها شروطا محددة دقيقة ، هي :

ـ أن تكون ذات هدف سام ـ وطني ـ قومي ـ اجتماعي ـ أخلاقي . . ـ

ـ أن تكون سهلة الاسلوب من غير ضعف ،عذبة الالفاظ . وأن تشيع في مواقفها الحوية والحركة في جمل حوارية قصيرة . واذا كانت شعرية فلتكن أوزانها خفيفة مرقصة .

ـ ان يكون أشخاصها ممن يثيرون اهتمام الصغار ـ أبطال الحروب ـ أبطال الرحلات والمغامرات الخيالية ـ قصص الحيوان ـ مظاهر الطبيعة ـ(١٣) .

ـ أن تكون ملائمة سن الطفل . فلكل مرحلة من مراحل النمو طبيعتها وخصائصها التخيلية ، كما ان لكل سن اتجاهاتها واهتماماتها التي لابد من مراعاتها عند الاطفال(١٤) .

ـ أن تكون قادرة على تشويق الطفل وجذبه اليها وان تبتعد عن أسلوب الوعظ والارشاد والقاءالمعلومات بالشكل التلقيني(١٥) .

٤ ـ أنواع المسرحية الطفلية في سورية :

يضم الواقع السوري أربعة انواع من المسرحية الطفلية ، هي :

المسرحية الشعرية ـ المسرحية النثرية ـ المسرحية الشعرية النثرية ـ الحوارية . واليكم بيانا موجزا عن كل منها :

أ ـ المسرحية الشعرية :

هذا النوع واضح في نتاج الشاعر سليمان العيسى فقد أصدر عام ١٩٦٩ مسرحية النهر(١٦) ، وأصدر في العام نفسه ست مسرحيات في كتاب واحد(١٧) هي: الاطفال يحملون الراية ـ الشجرة ـ الاطفال يزورون المعري ـ الصرصور والنملة ـ مستشفى الاطفال ـ الاطفال يبنون مدرسة ، كما أصدر عام ١٩٦٩ مسرحية

المستقبل . وهو في مسرحياته كلها يلتزم الجانب الشعري الغنائي ، ويعتمد الازران القصيرة المرقصة، اضافة الى التزامه بقضايا الكادحين والمستقبل والوطن والاطفال . ففي مسرحية «الصرصوروالنملة» يقلب مفهوم الحكاية الشعبية التي تجعل الصرصور رمزا للكسل لانه يقضي الصيف كله في الغناء ، وتجعل النملة رمز الجد والعمل لانها تجمع الحب من وراء مناجل الحصادين ثم تضن على جارها الشاعر الغريد بحبات في الشتاء تقرضه اياها ليسد بها رمقه .

لقد قلب سليمان العيسى مفهوم الحكايةالشعبية فجعل الصرصور رمز الشاعر ، رمز الفنان الذي يهب الناس حياته كلها . انهشاعرالحصادوصديقالفلاحين يضاعف بغنائه نشاطهم ويزيد في انتاجهم ، ويسكب البهجة والمرح في نفوسهم ، فاذا الصيف أفراح والحقل كنوز تتدفق(١٨) .

يقول الصرصور :

لا تعطش حنجرتي أبـدا	ونشيدي الاسمر متصل
أنا أشرب لحن معاولكم	وبصوت المنجل اغتسل

الفلاحـون :

اشرب اشرب يا صداح	آن لحقلك ان يرتـاح
بعد قليل سوف نعود	لمنازلنا سوف نعـود

الصرصور :

وحدكتبقى ، وحدكتسهر،	أنا ناطور الليل الاسمر
في جيبي أشعار الدنيا	أنا لا أشكو انا لااضجر

لا نريد دراسة مسرحيات سليمان العيسى ،ولكننا ما نفتأ نلاحظ عنايته بالاوزان القصيرة والمجزوءة والمشطورة ذات الموسيقى الخارجية الواضحة ، وميله الى الجمل القصيرة مما يسهل على الطفل قراءته ، ويتفق مع قدرته المحدودة على اطالة التنفس ، ولان ايقاع الاوزان القصيرة سريع يتفق مع مرح الاطفال ولهوهم وميلهم الى الحركات السريعة . أما حروف الروى عنده فبعيدة عن الاحرف العسيرة النطق كالثاء والذال والظاء والضاد والقاف ، اضافة الى انها تعقد الموسيقى فلا يألفها الاطفال ولا يجيدون قراءتها. انه ميال الى الحروف السهلة النطق كالحاء والراء والدال واللام كتلك الموجودة في الامثلة المنتزعة من مسرحية الصرصور والنملة ، وميال أيضا الى تنويع حروف الروى في المسرحيات الطويلة ، لان هذا العمل يضمن له تنويعا في الاداء يحبه الطفل ويألفه . ولا بد من اعلان أسف المرء لانه لا يجد متابعة جادة لهذه الخصائص الشعرية لدى الشعراء الآخرين . بل انه يجد غيابا شبه كامل للمسرحيات الشعرية ، ولهذا السبب كان حديثنا مقصورا على سليمان العيسى وحده .

ب ـ المسرحية الشعرية ـ النثرية :

تقوم المسرحية الشعرية ـالنثرية في الغالب الاعم على الحوار النثري ، ولكنها تستخدم بعض المقاطع الشعرية الغنائية لاشاعة جو المرح والبهجة في اثناء الاداء ، مستفيدة من الطابع الغنائي والموسيقى الخارجية النابعة من الوزن والقافية . فمسرحية « الاطفال والذئب الزائر »(١٩) لعبد الفتاح قلعهجي نثرية تتحدث عن اخوة خائفين من الذئب ولكنهم يتحدون ليدفعوا أذاه عنهم . في هذه المسرحية مقطعان شعريان يرد أحدهما في اثناء خوف الاخوة من الذئب الذي يطرق عليهم باب المنزل ، ويرد الثاني بعد انتصارهم عليهم . وقد أحسن المؤلف اختيار مكان ايراد هذين المقطعين ، لان الخائف يغني كي يوهم نفسه بالشجاعة كما يغني المنتصر فرحا وابتهاجا . يقول المقطع الثاني:

هرب الذئب المغرور الى الغابـه
بالذيل المقطـوع
والرأس الموجـوع
هرب الذئب المغرور الى الغابه

ان المقطع الاول لا يختلف ـ من حيث طوله ـ عن هذا المقطع ، ولكنه يختلف عنه من حيث موسيقيته تبعا للخلل الوزني فيه . اما المقطع المذكور فواضح أنه يعتمد على تفعيلة المتدارك « المحدث » فعلن المخبونة غير ان التنويع الشعري يبدو واضحا جـدا في مسرحية « كنزهة الهلال »(٢٠) . لمحمد علي حمد الله وهذا مقطع منها :

الطليعي ٣ (غناء)

نكـرم الانسـان	نحـارب العدوان
نرعـاك يا بستان	لاننـا طلائع

الطليعي ١ (غناء)

رياضـة البـدن	اشراقـة الفطن
محبـة الوطـن	صارت لنا شرائع

الجد : حسنا .. ولكن لم تجيبوني بعد .. ما مجيئكم الى هنا ، والنهار قد أرخى جفونه على عيون النور ، فنام ؟

الطليعي ٢ (القاء)

لا تكمل السؤالا بل فاسال الهلال

الطليعي ٣ (القاء)

فانــه كذلكا يمر في بستانكا

الطليعي ١ (القاء)

فما مجيئه هنـا والليل قدغطى الدنا؟

ان مزج النثر بالشعر واضح جدا في هذه المسرحية وقد نص المؤلف ضمن ارشاداته المسرحية على الابيات التي ينبغي أن تغنى ، والابيات التي ينبغي ان تلقى القاء موقعا . كما حاول تنويع القوافي ، فجعلها مقيدة في الابيات الاربعة الاولى ، ومطلقة في الابيات الثلاثة الاخيرة . ونوع أحيانا في الاوزان ، وجعل المقاطع النثرية فواصل تريح الاطفال الممثلين بين المقاطع الشعرية . وعلى الرغم من ذلك كله فالمسرحية نثرية بالدرجة الاولى ، ولكن الاعتماد على الشعر واضح فيها . ولعل نسبة هذا الاعتماد تختلف كثيرا بين نص وآخر ، تبعا لرغبة المؤلف ومعرفته بأهمية الطابع الغنائي في المسرحية الطفلية . وفي اعتقادي أن مزج النثر بالشعر ما هو الا تعبير عن تداخل الفنون ، وان كان الشعر أقرب الى القصة القصيرة منه الى المسرحية .

ج ـ المسرحية النثرية :

ان المسرحيات النثرية أكثر انواع المسرحية الطفلية عددا في سورية . ولعل التطور المسرحي يجعلها النوع الرئيس ، تبعا لحاجة النوعين السابقين الى شاعر قادر على كتابة المسرحيات الشعرية دون أن يتنازل عن شيء من المقتضيات الفنية . ولسنا ـ هنا ـ في معرض التدقيق في اتجاهات المسرحية النثرية الطفلية ، لان هذا العمل سابق لاوانه في غياب النصوص الكافية لمثل هذه الدراسة . ولكننا ـ في حدود النصوص التي بين أيدينا ـ نلاحظ اتجاها يعتمد على الاحداث التاريخية التي تتعلق دلالاتها بالحاضر المعاصر المعاش حتى أن نصر الدين البحرة في مسرحيته « أغنية المعول »(٢١) يعرف زمان المسرحية بما يلي : « يقال ان هذه الحوادث وقعت منذ ألف سنة أو اكثر . ويقال أيضا انها حدثت قبل ذلك او بعده وعلى كل حال فهناك من يؤكد أنها حدثت منذ فترة قريبة جدا» ثم يسجل في خاتمة الارشادات المسرحية ملاحظة يقول فيها :

« يفضل أن يظهر الاشخاص في ثياب حديثة » . الا أن اتجاه البحرة نحو جعل الحدث التاريخي معاصرا لم يقو بعد كما هي الحال في مسرح الكبار ، ولا يدري المرء ما اذا كان المؤلفون سيقبلون عليه .

على أية حال فان اتجاها آخر يلتفت الى الحكايات الشعبية فيعيد صوغها ، ولعل مروان ناصح اكثر المؤلفين عناية بهذا الاتجاه(٢٢) . كما ان هناك اتجاها يتناول موضوعاته من الواقع المحلي الاجتماعي .

د ـ الحوارية :

تنهض الحوارية ـ بالمعنى المراد هنا ـ على التنافس بين الاشياء في محاولة من المؤلف لتقديم صفات الاشياء كلها من خلال هذا التنافس . واذا كانت الاشياء المتنافسة تقدم خدمات للانسان فان الحوارية تنتهي بعملية أشبه بالمصالحة بينها . وهذا الاتجاه قديم في الادب العربي شعره ونثره كالحوار بين السيف والقلم مثلا .

لقد كتب عادل أبو شنب حواريته « الفصل الجميل »(٢٣) ضمن هذا المبدأ ، وجعل الفصول الاربعة تتنافس فيما بينها ثم تنتهي الى أن كل واحد منها ضروري للانسان ولحياته ومعاشه ، وهذا النوع من المسرحيات الطفلية يعتمد على دقة المؤلف العلمية ، كما يحتاج الى دراسة صفات الاشياء المتنافسة وأحوالها ، ثم يحتاج بعد ذلك الى موضوع صالح لاثارة المنافسة .

* * *

تلك في اعتقادي ، مكونات الوعي النظري للمسرحية الطفلية في سورية . ذلك الوعي الذي تؤكد عليه وزارة التربية والارشادات الصادرة عن مسرحها المدرسي والدراسات التي تناولت المسرح أو التمثيل ضمن

نطاق النشاط المدرسي . والواضح أن هذا الوعي النظري دقيق محدد ، يتناول المسرحية الطفلية من حيث الهدف ، والشكل المضمون والخاص والعام ، والحاضر والمستقبل . كما أنه يضع للمسرحية الطفلية شروطا خاصة ويربطها بالعملية التربوية ارتباطا تأثير وتأثر . الا انه باق في حدود الكبار الراشدين . لانه تعبير عن رؤيتهم الخاصة للمسرحية الطفلية . أما التطبيق العملي فمقصور على الجهود الفردية في المناسبات العامة : ولا توجد - حتى الآن - فرق رسمية أو شبه رسمية أو خاصة تؤدي مسرحيات طفلية أمام جمهور الاطفال . وما نراه في المناسبات لا يرتفع فوق اللوحات التمثيلية التي تعبر عن خصائص البيئة أو ملامحها أو قضاياها الوطنية والقومية كجني محاصيل القطن والعنب والزيتون وأعياد الجلاء والثورة . نحن - في مثل هذه المناسبات أمام أعمال آنية ، او مهرجانات احتفالية يؤدي فيها الاطفال أدوارا رسمها لهم الكبار ، فراحوا ينطقون باسم معد النص ومخرجه ولم يرق عملهم الى مستوى المسرحية الطفلية التي تعني نصا ملائما للاطفال من حيث موضوعه ودلالته وشخصياته واسلوبه وامكانية تنفيذه وهذا بدهي عندي لان المسرحية الطفلية قضية شائكة في العالم كله ، ولدى اشارات محددة تقول ان الدول المتقدمة ما زالت تبحث عن صيغة مقبولة للمسرحية الطفلية على الرغم من مرور نحو من أربعين عاما على عقد أول مؤتمر لمسرح الاطفال(٢٤) ، وانشاء مؤسسات دائمة له ، ودور نشر لنصوصه . لقد عقدت حلقات بحث ومؤتمرات لدراسة الدراما والتأليف المسرحي للاطفال ، ومسرح العرائس ، وعلم النفس والاجتماع الخاصين بالمسرحية الطفلية وفنية مسرح الاطفال ، وقضايا الديكور والمناظر والملابس والاضاءة والاخراج ان ذلك كله خطا بالمسرحية الطفلية خطوات كبيرة الى الامام وبخاصة في دول المنظومة الاشتراكية فكيف نستهجن تعثر هذه المسرحية في وطننا العربي وهي - في المحصلة النهائية - تعبير عن المستوى الحضاري الذي بلغته الامة . ثم ان هذا الكلام لا يعني اية مقارنة بين الوعي النظري والممارسة العملية للمسرحية الطفلية في سورية ، بل يعني ان اشكالية المسرحية الطفلية لا تنتهي دون تجارب مسرحية جادة ، ودون دراسة عمقية لها تتلافى عيوبها وثغراتها في العروض التالية . كما أن هذا الكلام لا يعني أن الوعي النظري جديد في سورية ، بل هو قديم فيها . فقد أصدر نصرة سعيد في الاربعينات ست مسرحيات مدرسية(٢٥) ومرحية تربوية خاصة بالبنات في خمسة فصول عنوانها « بنت المفتشة » . كما ألف عادل أبو شنب عام ١٩٦٠ حوارية بعنوان « الفصل الجميل » . وهذان المثالان المبكران يشيران الى أن الوعي الذي تجسد رسميا في أواخر الخمسينات حين تم انشاء مسرح العرائس على يد الخبراء التشيكيين ، كانت له خلفية نظرية تعلي من شأن مسرح الاطفال . واخيرا فان هذا الكلام لا يعني مسرح العرائس ، ولا مسرح الكبار للصغار . ان المسرحية الطفلية تعني مسرح الاطفال للاطفال تحت اشراف الكبار وتوجيههم كما أنه يعني الانطلاق من المجتمع المدرسي الى المجتمع العام .

ان مسرح الكبار للصغار شيء آخر مختلف عن المسرحية الطفلية . انه مسرح يتوجه الى جمهور الاطفال ، وقد يستخدم بعضهم في التمثيل ، ولكنه لا يعبر عنهم بشكل ملائم ، ولا يتركهم يشاركون في العمل اعدادا وتجاوب وتمثيلا . ان الاطفال الممثلين فيه ديكور موضوع لايهام الاطفال المشاهدين ، كما أن بساطة موضوعه عملية ايهامية أخرى . وخير أمثلته السلبية مسرحية الشاطر زياد التي قدمها زياد مولوي . أما خير أمثلته الايجابية فهو ما قدمته فرقة المسرح العمالي بحمص ، أعني مسرحيتي الكلمة اليتيمة ، وحكاية الفتى مهران والاميرة جلنار ، وهما من تأليف سلام الزقيق . ففي المسرحية الاولى طفلان يمثلان هما ليلى وحسام ، ولكن الهم الاساسي في المسرحية يبتعد درجات واضحة عن الطفولة . انه القضية الاشتراكية الاولى ، القضاء على الفقر . نحن في المسرحية امام تجار أغنياء وفقراء معدمين ، وامام حل لهذه الاشكالية نريده أن يتم على أيدي الاطفال . ان المسرحية الطفلية شيء آخر من نوع مسرحية « أرخميدس » لمحمد علي حمد الله . ففي هذه المسرحية التاريخية العلمية احساس خاص بالملك في ان التاج الذي طلب من الصائغ صنعه من قضيب ذهبي قدمه اليه ، مزيف . وقد استدعى أرخميدس ليكشف له ما اذا كان هذا الاحساس صحيحا . ان القضية هي الحقيقة العلمية الخاصة بالحجوم والاوزان ، ولكن المسرحية توصلت اليها عن طريق التاج المزيف ، وهو شيء غامض يشد انتباه الاطفال ويشوقهم الى طريقة كشف الزيف .

صحيح اننا نفتقر الى نصوص مسرحية للاطفال ولن هذا الفقر ليس سببا وحيدا في تخلف المسرحية

الطفلية في سورية ، بل هناك أسباب كثيرة في مقدمتها ضعف القناعة العامة بشيء اسمه ادب الاطفال ، اضافة الى أن المسرحية الطفلية تحتاج الى مشرفين متخصصين قادرين على التعامل مع الطفل في اثناء اعداد النص وتمثيله . غير أن السبب اكثر دقة هو التوجه العام، أعني ان المسرح المدرسي منذ انشائه عام ١٩٧٠ الى حين استلام الطلائع الاشراف على القسم الخاص بالمدرسة الابتدائية ، كان يتوجه الى مدارس القطر كلها ، في المدينة والريف ، مطالبا اياها بالعناية بالمسرح وتكوين فرق تمثيلية . كان يتوجه الى الجميع فيجد الحصيلة صفرا ، ولم يلتفت يوما الى تهيئة البيئة المسرحية القادرة على الانتاج ، لم يلتفت الى تأمين النصوص والمشرفين والامكنة ، اضافة الى انه تغافل عن وضع المدرسة الابتدائية السورية من حيث الزمن والمكان والامكانات المادية . والغريب أن وزارة التربية استمرت طوال السنوات العشر الماضية على ايمانها بأن المعلمين في فترة الاعداد التربوي أدباء قادرون على تقديم القصص والمسرحيات والشعر والمقالة الوصفية للاطفال : فمنهاج الصف الخاص في دور المعلمين والمعلمات السورية يخصص حصة اسبوعية لتدريس أدب الاطفال ، ولكنه يريد من هذه الحصة تدريب الطلاب على طرائف تحويل الخبر والمثل والقصة والنادرة والقصيدة الى مسرحية طفلية .

لقد فات الوزارة أن الاستاذ الذي يدرب أدب الاطفال لا يعلم شيئا كثيرا عن مادته ، اضافة الى انه لا يملك قناعة ذاتية بهذا الفن الادبي ، وليس بين يديه مصادر تعينه على ذلك ، او توضح له اسلوب عمله . كما فات الوزارة ان علاقة الطلاب بالادب والثقافة ضعيفة ، وان جل همهم اللحاق بمواد المنهاج الكثيرة المتشعبة ، اضافة الى ضعف سويتهم العلمية وفوضى اختيارهم . لقد تخرجت أفواج كثيرة من الصف الخاص ، حين كان سنة واحدة وحين غدا سنتين ، ولكن نسبة الذين عملوا منهم في تحويل خبر الى مسرحية طفلية ، او الذين بحثوا عن نص ملائم وراحوا يدربون تلاميذهم عليه ، ضعيفة جدا ان لم نقل انها نادرة ، ناهيك عن امكانات المدرسة الابتدائية والظروف المعيشية الحياتية .

ان المدرسة الابتدائية السورية غير قادرة في حالتها الراهنة على تقديم شيء يخدم المسرحية الطفلية . وفي وهمي أن منظمة الطلائع تستطيع تحقيق ذلك ، لانها تكمل عمل المدرسة . فقد لاحظت اعلانها عن مسابقتين خاصتين بتقديم نصوص مسرحية محلية للاطفال(٢٦) . كما لاحظت اصرارها على تقديم المسرحيات في المهرجانات القطرية ، وعنايتها بطباعة النصوص الفائزة ، والتفاتها مؤخرا الى تأهيل المشرفين باقامة دورات تخصصية طويلة لهم ، وربما أوفدت آخرين الى الدول الاجنبية لاتباع دورات مسرحية خاصة . غير انها ملتزمة بالتوجه العام الذي يمنعها من التخصيص ذلك أن الممكن تنفيذه في المدى المنظور هو انشاء فرقة مسرحية واحدة في كل محافظة تضم الاطفال من ذوي المقدرة التمثيلية ، على أن يخصص لها مكان معين ومشرفون مدربون ونصوص ملائمة وامكانات مادية تسمح لها بالتحرك . ان هذه الفرقة تشجع الاطفال على التمثيل وتستقطب جمهور الاطفال المشاهدين ، وتحرض المدارس على تقديم ما يخدم الفرقة في عملها ، وتدفع بالمؤلفين الى تقديم نصوصهم لها . لا اعتقد اننا قادرون على تعميم المسرحية الطفلية ان لم نعر بداياتها ما تستحقه من اهتمام ورعاية ، والا فان هذا العمل الجماعي التعاوني سيخفق في تحقيق أهدافه وترسيخ خطواته .

حمص : سمر روحي الفيصل

الهوامش والاحالات

١ ـ انظر :الادب والقراءة ـ عبد الرزاق الاصفر ومحمد نديم عدي ، وزارة التربية دمشق ١٩٧١ ص ١١٤

٢ ـ انظر : الاطفال والمسرح ـ اسماعيل الملحم ـ مجلة المعلم العربي ٢٣ ـ ع ١ ـ ك ٢ ١٩٨٠ .

٣ ـ نفسه ص ٥٢

٤ ـ عن المذكرة التي اصدرها المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بدمشق في شأن المسرح المدرسي .

٥ ـ انظر : أدب الاطفال ـ محمد علي حمد الله ـ وزارة التربية ـ دمشق ١٩٧٨ ص ١١١

٦ ـ انظر : طرائق تعليم اللغة العربية ، فالح فلوح سلمى سعيد ـ وزارة التربية دمشق ١٩٧٨ ص ٢٣٩

٧ ـ نفسه ـ ص ٢٤٠

٨ ـ انظر : طرق تدريس اللغة العربية ـ

د . جودة الركابي ـ دار الفكر ـ دمشق ١٩٧٣ ص ٢١٦ ـ الادب والقراءة ـ عبد الرزاق الاصفر ومحمد نديم عدي ص ١١٤ ـ طرائق تعليم اللغة العربيـة ـ فالح فلوح ـ سلمى سعيد ـ ص ٢٤٠

٩ ـ راجع مقدمة الدراسة وكتاب الادب والقراءة (الاصفر ـ عدي) ـ ص ١١٥

١٠ ـ هذه الفقرة ، والفقـرة السابقة عليها ، مأخوذتان بنصهما من دراسة بعنوان « الاطفـال والمسرح » لاسماعيل الملحم ـ مجلة المعلم العربي ـ العدد السابق نفسه .

١١ ـ انظر : طـرق تدريس اللغـة العربيـة ـ د . جودة الركابي ـ ص ٢٦١

١٢ ـ انظر : الاطفال والمسرح ـ اسماعيل الملحم ـ ص ٤٧

١٣ ـ انظر : طرائف تعليم اللغة العربيـة ـ فالح ، سلمى ـ ص ٢٤١ ـ ٢٤١

١٤ ـ الاطفال والمسرح ـ اسماعيل الملحم ص ٤٩

١٥ ـ عن المرجع السابق بتصرف .

١٦ ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٦٩

٧١ ـ مسرحيات غنائية للاطفال ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٦٩

١٨ ـ من مقدمة الشاعر للمسرحية .

١٩ ـ نشرت المسرحية في صحيفة تشرين ـ العدد ١٠١٨ ـ الاثنين ١٥ـ١ـ١٩٧٩

٢٠ ـ ادب الاطفال ـ محمد علي حمد الله ص ١١٤

٢١ ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ١٩٧٨

٢٢ ـ من مسرحياته : العرس (صحيفة الثورة ـ العدد ٥٠٠٩ ـ السبت ٢٣ـ٦ـ ١٩٧٩) مسائيـة (صحيفة الثورة ـ العـدد ٥٠٨٢ ـ الاربعـاء ١٩ـ٩ـ١٩٧٩) ـ على قدر لحافك (صحيفة الثورة العدد ٥٠٢٣ ـ الثلاثاء ١٠ـ٧ـ١٩٧٩) ـ واحـدة بواحدة (صحيفة الثورة ـ العدد ٥٠٣٢ ـ الجمعـة ٢٠ـ٧ـ١٩٧٩) ـ الصياد الذكي (صحيفة الثـورة ـ العدد ٥٠٠٢ ـ السبت ١٦ـ٦ـ١٩٧٩) .

٢٣ ـ دار الثقافة ـ دمشق ١٩٦٠

٢٤ ـ دعت الى هذا المؤتمر مدرسـة الالسـن بجامعة نورث ويسترن بالولايات المتحدة .

٢٥ ـ هي : مصرع الباغي وخيم (مأساة في ثلاثة فصول) ـ لتحي الامة (مأساة تاريخية في ثلاثـة فصول) ـ السارق والمسروق (أوبريت في فصل واحد وضع ألحانه ابراهيم الدريش) ـ أحكام قراقـوش (ملهاة في ثلاثة فصول) ـ فوق الجرح ملح (ملهـاة في فصل واحد) ـ خليل وجليل . انظر: أدب الاطفال في سورية ـ عيسى فتوح ـ مجلـة الموقف الادبي ـ العدد ٩٥ ـ آذار ١٩٧٩ ـ ص ٤٦ ـ ٤٧

٢٦ ـ مسابقة عام ١٩٧٨ ومسابقة عام ١٩٧٠ أما الاولى فتم تحديد السن فيها بين ١٠ ـ ١٥ سنة ، واما الثانية فقد عدل السن فغدا من ٩ ـ ١٣ سنة .



مصطفى طلاس : بين الأصالة والمعاصرة في فن القصة الواقعية

د . محمد حبر *

(هل نعتبر اعماله القصصية الاخيرة خطوة جديدة في مسار القصة الواقعية الملتزمة؟)

أما ان ترى جيدا فتكون ذلك الانسان الناجح .. واما أن لا ترى وتكون ذلك الانسان البدائي المتجمد . لان حياة الانسان هي ان يرى وكلما كانت رؤيته أوضح كلما ارتقى اكثر .

بقي الانسان آلاف السنين يحاول فيها أن يرى ابعاده هو .. واعماقه هو .. وقد طالت نظراته الى ذاته حتى لم يعد يتكشف غيرها .. فالانسان ينظر الى صورته وهمومه وطموحه لانه القادر الوحيد على التكيف برصد حركات الكون .. الانسان ، والحيوان ، الحشرات ، والكواكب .. الخ .. وهو الذي يتمتع بقدرة النفاذ والرؤية لنفسه ولغيره ، وعندما أصبحت له هذه العين الراصدة المجردة تقدم في صنوف العلم .

والفارق الجوهري بين الانسان والحيوان .. الحيوان ينظر ، والانسان يرى .. وعن طريق الرؤية عرف الالوان والاشكال ، فمن طريق الرؤية الى الخارج اصبح عالما - وتوضعت المناهج العلمية - وعن طريق الرؤية الى الداخل أصبح فنانا - وترسخت المقاييس الجمالية - فلا علم بغير معرفة ، ولا معرفة بغير رؤية ، ولا رؤية بغير عين الفكر والعقل فبمجهرها

ننظر الى داخل انسان « مصطفى طلاس » الاديب المفكر .. نسبر اغواره لنتعرف عن كثب مكنون الجوهر ومحتوى الشكل .. نقيس بعدها بالعين المجردة ابعاد توافق الشكل كبناء مع جوهر الكنة كمضمون في اطار المعادلة الصعبة .. كيف نتمكن من الانفلات ونقدر أن نعطي انفسنا حرية الانطلاق ونحن في عالم قصة مصطفى طلاس الواقعية الملتزمة الا بشكل نسبي جدا ، ايضا لانه من البداية في الرحلة الى عالمه الخاص يلف احاسيسنا بمغناطيسية ويهيمن على مشاعرنا بشاعرية جزلة يمزجها مع كل خلجة من خلجات نفسه الراصدة لماهية واقعه المادي المتفاعل بمنظور حياتي واضح الرؤية مع أدق الاشياء ، وصولا الى جوهر المعاناة الاشد خشونة ، والتي شكلت منعطفا حسيا رفيع التخيل بقضايا الانسان والوجود ، ليرسم لنا تأثيرات واضحة المعالم لم يترجمه ضميره ، ومايتمخض به وجدانه ليخط البنان تلك القصص التي تكاد ان تكون سيمفونية خلاص متشحة بغلالة من الجمالية الآسرة ، والرفض المطعم بالصدق والمعاناة والاصالة .

قصتان تصدر في كتابين - رلمحي القدس - و

ـ عملية كمال عدوان ـ واحدة عام ١٩٧٨ « راعي القدس » والاخرى عام ١٩٧٩ « عملية كمال عدوان » يحتلان مكان الصدارة لعام ٩٧٨ ـ ١٩٧٩ ولعل هاتين التجربتين التجديديتين اللتين تجسدان معاناة السحق الانساني بمذاقاته ووجوهه والجور الآدمي بأخوافه ومشاربه مشحونة بصرخات الاحتجاج . عندما تقرأ هذا الاديب الملتزم بقضايا أمته وهمومها وآمالها .. وآشجانها تشعر به انه القادم عبر قافلة المطحونين حتى الموت ، والملتصق بأرضه وشعبه لدرجة العشق و ـ حتى النخاع ـ تتلمس دمه الجار في ملمس الجلد .. ونشيج الالم في بوابة القسمات ، يتوغل الى أعماقك بشكل تلقائي لانه يحدثك من اعماقه وايمانه حديث العشق المتدفق من القلب الى القلب ـ يدفعك بكل جوارحه ليجسد امامك تجربة فنية تمنح من الجدة والمعاصرة تقنيتها ليكون الاسبق في طريق تاهت في مسالكها الاقلام وتعددت في مجالاتها التجارب محققا التأثير الفعال في نفسية الجمهور المتلقي دون تعرجات رمزية ، ومنسربات « سوريالية » بهالة من الوضوح والاشراق .. تخاطب من النفس الى النفس ، فنقاء معدن خطه الفني ، وآصالة الموهبة الجامحة بزهو تقسره على التوجه باتجاه الزنابق والدم ، رائحة البارود تتشابك وتتعانق مع زهور البرتقال والليمون في البيارات و ـ السنابل الخصبة في جدب المواسم ـ والرجال ـ الرجال السنديانات المتجذرة في مهب الريح العاصف والشمس ـ و ـ المرأة ـ الرمز الاول والاخير لحركة الصيرورة في خط الجنس البشري . شخوصه في حرب ضروس مع القلعة والانجراف والقهر في الملمع والحركة ، في الصمت والنطق ...

وفي البدء تكون الكلمة .. فانظر اليه في لقطة يحدثنا بطريقته الفنية الخاصة في قصته « عملية كمال عدوان » : كان الجو عاصفا .. وكان البحر هائجا ، وكانت الرؤية سيئة .. وكان الليل صديق الفدائيين وعشاق تراب فلسطين يلف الباخرة التي حملت مجموعة « دير ياسين » .

ويضفي على العملية طابعا اسطوريا . كان جميع من في الباخرة نيام عدا الربان والرجال الذين نذروا انفسهم للشهادة في سبيل مجد الوطن ..

ومع خيوط الاولى للفجر كان ابطال مجموعة « دير ياسين » ينادون بعضهم البعض بالهمس والاشارات لتبديل اللباس وتفقد السلاح والذخيرة والاعتدة الحربية الاخرى ، والاهم من ذلك وذاك واسطة النقل الباخرة الام الى الوطن الام ، وأقصد بذلك الزوارق المطاطية .. كان كل فدائي من المجموعة يسترجع في ذاكرته شريط المآسي والمجازر الدامية التي ارتكبتها الصهاينة الغزاة ضد شعبنا العربي الفلسطيني

ويتابع هذا الاديب وثيقته باسلوب قصصي جذاب: « وتخلصوا من كل الاشياء التي تربطهم في هذه الدنيا لانهم يؤمنون أن المجد كل المجد لمن يضحي في سبيل الوطن .. وان ولادتهم تبدأ في ١١ آذار ١٩٧٨ وان خلودهم سيكون ١١ آذار ١٩٧٨ . فلا شيء أحلى واسمى في ان يموت الانسان لتحيى الامة العربية عزيزة الجانب شامخة الرأس . وتعود فلسطين » ..

ويتابع تصويره الدقيق في معالجة الموضوع بشكل آخاذ يترك في نفس القارىء صرخة تهز المشاعر هزا عنيفا ، تدق على بوابات القلب بعصبية جميلة لا يستطيع تجاهلها الميل الفريزي الانساني .. والتفلت من جاذبيتها أمام صدق النبرات المنفعلة باللحظة الولادية رغم الاجهاض المادي المنظور للقضية الفلسطينية ، لحظة ارتعاشية مشحونة بمرارة الواقع الحاضر .. واستشفاف المستقبل المشرق المتراص على انغام سمفونية العودة المعزوفة على ايقاع الرصاص المنهمر من فوهات البنادق ، والمغمسة بنكهة الدم ورائحة البارود .

أمام هذا الميل وتطلعاته المستقبلية للممارسات اليومية المادية والمعنوية يجيء صوت الاديب المفكر « مصطفى طلاس » عمليا ملبيا نداءات الوجدان في بناء فيه من فنية المعمار ، وعمق المحتوى .. الشيء الكثير رغم وقوف جملة من المعوقات الحياتية .. والاحباطات اليومية جدارا في وجه طموحاته الحارقة ، لتبدأ المعاناة بثورة جديدة ، وعطاءات لا تجف ، وبخاصة عندما يتسلل الوهن الروحي تدريجيا اليه فيكابر الحقيقة الى عالم مشحون بالاصرار والتصميم والموقف .. وهو يقتلع خلايا وجدانك واحدة واحدة ويغرسها في جسد قضيته الدامي ، ومأساته الطافحة في تحقيق العدل والحب والسلام للانسان .. فتتفاعل معه طواعية حتى النخاع ، وتحس معه روعة التوحد والتجاسد والانصهار لانه عندما يتكلم لا يتكلم هوسا بالكلمات والمحادثة ، أو ولعا باللفظة والتداول ، او بدافع نزوة طارئة .. بل يتحدث عن قضية الانسان بكل ما تحمل طيات هذه اللفظة من بعد كوني .. وكأن

القضايا في كل الاصقاع قضية واحدة من تشيلي وحتى فلسطين مرورا بالسلفادور وبوليفيا ونيكارغواوفيتنام وكوريا وكوبا وافريقية السوداء .. فالقضيةالبشرية قضيته ، والموقف الانساني موقفه ، يعيش معها وفيها بيقظة حسية وجدانية بحتة فلنقرأ لقطة من « راعي القدس » مرشدا ودليلا : « لقد سجنوه في زنزانة معزولة ومنعوه من الاختلاط بغيره من المساجين ، وهو الذي عرف بشدة نشاطه وحيويته وحركته الدائمة . هل سيمضي اثنا عشر عاما في هذه الغرفة الضيقةالتي لا يصل النور اليها الا من نافذة ضيقة عالية ؟!. لقد ازداد فخره بالمقاومة الفلسطينية التي قامت خلال مدة اقامته في السجن ومنذ اعتقاله الى نهايةالمحاكمة. بثلاث عمليات فدائية انتحارية . وكلها كانت تطالب باطلاق سراح المطران الكبير أسير الصهاينة .وتناهت الى سمعه اعمال التمثيل الرهيب بجثث الفدائيين الاربع وحرقها علنا بعد الموت ، فتقززت نفسه من الروح الاجرامية التي أعمت اعين الصهاينة العتاة . لقد كان يردد بخشوع وهو يتجه بعينيه نحو السماء في سجنه : « أبت لا تبعد عني هذه الكأس .. دعني اجرعها حتى القطرة الاخيرة .. من أجل ان يرى العالم بعينيه ويسمع بأذنيه . ان وجودهم وتواجدهم فوق أرضك هو وجود وتواجد للجريمة » .. ويتابع تصوير الثورة والكبرياء .. وصرخة العزيمة في المضي قدما على درب الكفاح من أجل تحقيق حرية الانسان وكرامته . « ارضك .. التي كان منها مولدك .وكان وكان منها انطلاقك ، وكان على صدرها عذابك . من اجل خلاص الانسان ، وخلاص الارض .. من كل الملوثة ايديهم بالدخان » . ان هذا الانبثاق الفني الرائع يتصاعد في اصالة ومعاصرة قلما توفرت في منهج القصة الواقعية الوثائقية في عصرنا الراهن .. وقد استطاع أديبنا ان يحقق حضوره الابداعي التجريدي والانساني على النحوين التاليين :

الاول : في سلوكه الفني في دقة التعبير ورشاقة الصورة وتقنيتها .

والثاني : التفاعل الوجداني الحركة التجريبية حيث يذكرنا بـ « تولستوي » و « ديوستيتفسكي »وهو يرتفع بنصه كالصقر ، بايجاز جذل ، وتسلسل في السياق فني يبهرنا بجمال مدخله للفظة ، ويهزنا ببديع مخرجه في تواتر آخاذ ، وبلوحات تصويرية ممتعة وفاتنة .. فيها من نضج التجربة ما يوصل الى قمة التألق ، يتحرك بسرعة مدهشة في وضع الشكل منسجما مع المضمون ، وبذكاء ورؤية واضحة المعالم يستثمر الحدث .. ويطوع الكلمة وكأنها خادمةتجيء وتروح رهن الاشارة .

ومن البداية واستمرارا حتى النهاية نقول : ان هذا الاديب الفنان قد ارتقى الى درجة الجدةباجتهاده الفكري والنضج الفني مما تخولنا تجربته في عالم القصة الوثائقية الواقعية قصة — كمال عدوان — و — راعي القدس — ان نطرح التساؤل التالي :

هل نستطيع أن نعتبر هذه الخطوة تجربة فيها من الجدة ما يخولها أن تدخل عالم الادب الاصيل في عالم الادب العربي المعاصر ؟.

اقول وبلا أقل نصيب من المجاملة .. وبدون تحفظ:ان هذا الاديب الفنان اطل على دنياالكلمةوالحرف المسطور طلة الواثق من نفسه لذا نراه يمشي على أرض صلبة .. ويطل على الساحة الادبية الفكريةعلى امتداد مساحة الوطن كفنان يحمل حسامرهفاوتصويرا رائعا ورؤى واضحة .. تجاوز الادب الاجتراري بكل اشكاله .. والدخول بأوسمة الشموخ في ملكوت الادباء الحقيقيين .

دكتور محمد جبر

العالم الإنساني في لزوميات المعري

بقلم : نزار وجيه فلوح

ونحن نطالع أثرا من آثار ذلك العالم المبدع والاديب البارع نحس اننا امام منهج خاص في التفكير يعكس لنا طريقة فريدة يتبعها الشاعر في حياته ويتخذ منها مسلكا لا يحيد عنه ابدا ذلك هو ابو العلاء المعري . قارب في خضم هائج تتقاذفه الرياح وترمي به الامواج بعيدا عن شاطىء الوداعة والامان والاستقرار ... تكوين نفسي أبلغ ما يمكننا ان نقول فيه انه غريب محير ، لكن هذا التكوين النفسي لم يكن وليد ذاته ونفسه انما اثرت في ذلك التكوين مجموعة من التراكمات التاريخية والاجتماعية والنفسية من مرضه المبكر وحرمانه البصر وتقلب المجتمع والناس عليه ، وتوغله في الاطلاع على فلسفات ذلك العصر وعدم خروجه بقناعة موحدة ازاء تلك الفلسفات .. كل ذلك ترك آثارا بليغة واضحة في العقلية الادبية والفكرية عند المعري ، وهذا ما سأعرض له من خلال هذه القراءة المتواضعة في واحد من عيون الآثار التي خلفها الشاعر المفكر والتي عبرت عن مرحلة نوعية متقدمة في التفكير العقلي والتأمل الانساني خلال تلك الفترة حيث افتقر أدبنا العربي الى مثل هذه الروح وذلك المنهج في العطاء الادبي والشعري .

تلكم هي « اللزوميات » أو « لزوم ما لا يلزم » التي ابدعها المعري في سني حياته المتقدمة والتي تعتبر بمثابة خلاصة لتجربته الانسانية وآرائه الفلسفية في ابواب الحياة الكثيرة على الارض وما ورائها ، ولايسع الدارس لهذا الاثر الادبي الفلسفي الا ان يقف حائرا امام ذلك البحر المتسع من القناعات والآراء المتضاربة يهيم فيها شاعرنا في أودية الغرائب اللفظية فتأتينا وهي ما أشبه ما تكون بالالغاز المعجزة التي تستعصي حتى على أهل اللغة والادب لدرجة ان بعضها لم يفهم ولم يكن بالامكان أن يعرف كنهها غيره .

وانطلاقا مما سبق ذكره وكيلا تتشعب في وجهنا السبل ، آثرت أن اقتصر في هذه الدراسة على عرض جانب واحد من الجوانب الكثيرة التي ضمها الديوان، ذلك هو الجانب الانساني والبشري في لزوميات أبي العلاء دون التعرض لآرائه في الكون والطبيعة وماورائها من بعث ونشور وحساب ومصير انساني مجهول مغلق فذلك موضوع يطول ويطول .

وقبل ان نبدأ جولتنا نحو معرفة الجانب المختار في هذه الدراسة ، دعونا نتفهم معا ما هي اللزوميات ؟ وما هو مضمونها ؟ ولم سميت كذلك ؟.

اللزوميات : هي ديوان شعر فلسفي كبير يحتوي آراء الرجل ، مرتب على حروف المعجم يذكر كل حرف بوجوهه الاربعة من ضم وفتح وكسر وسكون وهذا الديوان يحتوي نحو احد عشر ألف بيت وسمي

كذلك لان صاحبه التزم قبل الروي حرفا اذا غير لم يكن مخلا بالنظم ، وينفرد هذا الديوان بمزيتين واضحتين : خلوه من ابواب الشعر المطروقة (كالمديح والرثاء والفخر) وما اليها ، وانصراف ناظمه الى نقد الحياة ، وقد نظمه الشاعر بعد رجوعه من بغداد ولزومه بيته في المعرة ، ولذا فهو يمثل نضج القوة الشعرية في الشاعر ونظراته في فلسفة الكون والعمران

وقبل أن نمضي في جولتنا ، هذه شهادة شخصية لابي العلاء في لزومياته يقول :(١) « ... وقد تكلفت في هذا الكتاب ثلاث كلف : الاولى انه ينتظم حروف المعجم عن آخرها ، والثانية ان يجيء رويه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك ، والثالثة انه لزم مع كل روي فيه شيء لا يلزم من ياء أو تاء أو غير ذلك من الحروف » .

وحري بنا ونحن نلقي الاضواء على هذا الجانب من فلسفة المعري في لزومياته ان نحاول معرفة المنهج الذي يتبعه في فلسفته والمقاييس التي يعتمدها في تفكيره .. الارجح انه لم يعتمد مدرسة فلسفية موحدة او مذهبا فكريا منظما ولم يبتكر رأيا جديدا او متفردا في الفلسفة ، ويذهب بعضهم الى ان كتاب اللزوميات هو كتاب المذهب الفاطمي(٢) .. وان المعري صور فيه شخصية (الحاكم بأمر الله) وخصاله من حيث لا تدري الناس به وأيد فيه مذهبا ووضع في شعره طريقة فكانت آراؤه الفلسفية تنتظم في نوعين : الاول مستمد من الاختبار الانساني ، وهو ما يمكن اعتباره فلسفة حياتية عامة وهذا تمكن ملاحظته عند كل أديب وشاعر ، والثاني يتجه اتجاها فلسفيا معلوما فهو يترجم عن فلسفة بذاتها وعن مذهب بعينه هو مذهب الفاطميين ، ويرد بعض النقاد على ذلك بأن لزوميات أبي العلاء حملت الكثير من تناقض الآراء وتضاربها فهي لا تصح لان تكون تعبيرا عن مذهب أو فلسفة لان أي مبدأ فلسفي لا يحتمل وجود التناقض الداخلي بين رأي ورأي أو بين فكرة وأخرى ، وترد مجموعة أخرى فتقول بأن التناقض الذي نجده في آراء ابي العلاء ما هو الا سخرية من ذلك العصر المتناقض في حقيقته والذي تكلف فيه كلمة الحقيقة حياة صاحبها .

ونخرج من هذا الجدل وتلك المماحكة النقدية فنرى أن ابا العلاء عقل كبير مفكر تعمق فيما سمع من الآراء المختلفة والمذاهب المتباينة فأخذ من كل مذهب بطرف ومن كل فلسفة بجانب فتناول جميع آراء أئمة عصره وراح بعد ذلك ينثر آراءه سواء أكانت صائبة أم فاسدة ، فكان في ذلك حائرا مترددا ، يضطرب بين الجد والهزل ويتأثر بين العاطفة الجياشة والعقل والصارم .. وكان لذلك العقل اثرا جلي في تفكيره وفلسفته فهو يعلي شأن العقل على كل الشرائع والمبادىء فليس من هاد سواه :

يرتجي الناس أن يقوم امام
ناطق في الكتيبة الخرساء

كذب الظن لا امام سوى العقل
مشيرا في صبحه والمساء

ويمضي به التأمل الفلسفي الى تقديس العقل حتى يعتبره الهادي الوحيد الى الحقيقة فيقول :

وشاور العقل واترك غيره هدرا
فالعقل خير مشير ضمه النادي

والعقل عند المعري نبي حكيم :

ايها الغر ان خصصت بعقل
فاسألنه فكل عقل نبي

وقد أراد أبو العلاء أن يحكم العقل في كل شيء على الاطلاق ولكنه اضطرب في ذلك التحكيم فتقلب كثيرا وعاد الى الحيرة والاضطراب والتناقض بعد ان أثبت ان العقل نبي :

أما اليقين فلا يقين وانما
اقصى اجتهادي ان اظن واحدسا

وأرانا من خلال هذا الاستطلاع للآفاق الخلفية في تفكير وفلسفة أبي العلاء وملاحظتنا مدى اضطرابه وحيرته وظنه وشكه ذاهبين الى الوقوف عند نظرته

---

١ ــ المعري : اللزوميات أو لزم ما لا يلزم ــ طبعة دار صادر ــ بيروت .

٢ ــ أنظر : مارون عبود ــ زوبعة الدهور : وهو يأخذ بهذا الراي استنادا لمجموعة من الحقائق وجدها في كتابات النقاد القدماء والرواة حول هذا الموضوع .

للحياة والمجتمع ، تلك النظرة المتسمة بتشاؤمه وسخطه وتبرمه ونقمته فلا يلتفت الى زخارف الدنيا بل يرفضها جميعها مقيدا لذائذه ومحددا لنفسه قوانين صارمة فيقول :

لا تشرفن بدنيا عنك معرضة
فما التشرف بالدنيا هو الشرف

واصرف فؤادك عنهامثلماانصرفت
فكلنا عن مغانيها سننصرف

يا ام دفر لحاك الله والدة
فيك العناء وفيك الهم والسرف

لو أنكالعرس أوقعت الطلاق بها
لكنك الام مالي عنك منصرف

وهو يقضي حياته حبيس بيته ونظره وأفكاره المظلمة في الحياة والكون والانسان فيعبر عن ذلك أجمل تعبير مما يجعلنا نتجاوز تسميته لنفسه برهين المحبسين الى تسميته برهين المحابس الثلاثة :

اراني في الثلاثة من سجوني
فلا تسأل عن الخبر النبيث

لفقدي ناظري ولزوم بيتي
وكون النفس في الجسم الخبيث

ويبلغ به التشاؤم حتى يحرم على الحمامة هديلها ثم يعود فيستنكر لومها فلا ملامة عليها أمام سخافة الانسان الراكض وراء المتعة الزائلة :

أهاتفة الأيك ضل الانام
ولا تثليبه ولا تمدحي

وان كنت شادية فاصمتي
وان كنت باكية فاصدحي

كدحنا لغانية حلوة ....
فكيف نلومك ان تكدحي

ويرى أبو العلاء المعري في الوليد الجديد ذنبا وخطيئة ارتكبها ابويه لانهما اتيا به الى حياة الشقاء والمذلة دون ذنب اقترفه .

يا طفل حلت بك الرزايا
فأنت منها صريم سحر

بأي ذنب أخذت فينا
لم تجن الا كذنب صحر

وكلما طوفنا في لزومياته تطالعنا مواقفه المتشائمة فهو ساخط على الدنيا لانها أفرغت كل شرورها في كائنات هذه الارض :

قد فاضت الدنيا بأوناسها
على براياها وأجناسها

وكل حي بها ظالم ...
وما بها أظلم من ناسها

ونتيجة لذلك التشاؤم يميل الى العزلة والوحدة فيجد فيها اللذة الكبرى :

غفرت زمانا في انتكاس مآثم
وعند مليك الناس يلتمس الغفر

وفي وحدة الانسان اصناف لذة
وكل صنوف الوحش يجمعها القفر

ويقود ذلك التشاؤم والتبرم الى تعسفه واطلاق حكمه على الانسان فالطبيعة البشرية في نظره فاسدة لا أمل باصلاحها ابدا وهو يعزي ذلك الى قوة داخلية قوامها الشر وهي التي تسير الانسان في دروب الشرور والمعاصي :

واللب حاول أن يهذب أهله
فاذا البرية مالها تهذيب

وهو قانط من امكانية اصلاح الانسان فيقول :

لم يقدر الله تهذيبا لعالمنا
فلا ترومن للاقوام تهذيبا

ويعتقد أن عنصر الفساد هو جزء من تركيب الانسان الكلي :

وجبلة الناس الفساد فضل من
يسمو بحكمته الى تهذيبها

حوتنا شرور لاصلاح لمثلها
فان شذ منا صالح ، فهو نادر

وما فسدت أخلاقنا باختيارنا
ولكن بأمر سببته المقادر

وفي الاصل غش والفروع توابع
وكيف وفاء النجل والاب غادر

اذا اعتلت الافعال جاءت عليلة
كحالاتها أسماؤها والمصادر

بني العصر ! ان كانت طوالا شخوصكم
فانكم في المكرمات حيادر

وتصل حالة النقمة والتشاؤم عنده الى حد اليأس حيث يرى اعراض الناس عن سماع قوله للحق واتهامه بالزندقة فيقول :

اذا قلت المحال رفعت صوتي
وان قلت اليقين اطلت همسي

وتتبع هذه الطبيعة الناقمة المتشائمة مجموعة من الآراء والنظريات يثبتها المعري وفق قناعة تامة وهي تتناول زبدة بعض الامور والقضايا في الحياة الدنيا فهو ناقم على الاديان والشرائع ورؤسائها وله في ذلك نظرة ازدراء تشمل جميع الاديان والمعتقدات فما هي في نظره الا هياكل فاسدة زائفة يستعملها الرؤساء لجذب الناس اليهم .

قد حجب النور والضياء
وانما ديننا رياء

يا عالم السوء ما علمنا
ان مصليك أتقياء

اذا قضى الله بالمخازي
فكل اهليك اشقياء

حكم جرى للمليك فينا
ونحن في الاصل ، اغبياء

وهو ينظر ساخرا متهكما الى من يرى بهم ادعياء للدين كاذبين فيقول في مخاطبة أحدهم :

توهمت يا مغرور انك دين
على يمين الله مالك دين

تسير الى البيت الحرام تنسكا
ويشكوك جار بائس وخدين

فالدين في نظره هو مجموعة الفضائل والاعمال الخيرة فهو يتجه الى روح الدين لا الى هيكله فنجده يدعو الناس الى أعمال الخير والى التنزه عن الشهوات والمطامع والمظالم وله في ذلك شهادات نقتطف منها :

الدين هجر الفتى اللذات عن يسر
في صحة واقتدار منه ما عمرا

وما الخير صوم يذوب الصائمون له
ولا صلاة ولا صوف على الجسد

وانما هو ترك الشر مطرحا
ونفضك الصدر من غلّ ومن حسد

الدين انصافك الاقوام كلهم
واي دين لآبي الحق ان وجبا

على انه يحذر الناس من الالاعيب الكامنة وراء الهيكل المزيف المتمثل بالمذاهب والفروض والسنن المختلفة فيصدر تحذيره في صيغة تهكمية ساخرة كقوله :

سبح وصل وطف بمكة زائرا
سبعين لا سبعا فلست بناسك

أما الذين انقلبوا عليه واتهموه بالزندقة فها هو يدافع عن عقيدته ويرد عليهم اتهامهم متسلحا بجانب العقل :

تستروا بأمور في ديانتهم
وانما دينهم دين الزناديق

تكذب العقل في تصديق كاذبهم
والعقل أولى باكرام وتصديق

وتبدو نظرية أبي العلاء في الاديان موضوعية صحيحة فهو حين يتحدث عن الدين فانما يريد الدين الحق وهو بذلك يشارك المصلحين الروحيين إجتهادهم في كل مكان وزمان .

ولا يختلف نظره الى الشعب وزعمائه والى الحياة السياسية في أعصره عن نظره الى الاديان .. فهو يهاجم الامراء والحكام وأصحاب الزعامات السياسية متهما اياهم بالجهل والجشع والاستبداد فيقول :

فشأن ملوكهم عزف ونزف
وأصحاب الامور جباة خرج

وهو لا يرى ارباب السلطة الا أهل مطامع فيقول في ذلك :

مل المقام فكم أعاشر أمة
أمرت بغير صلاحها امراؤها

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

ويتعرض لرجال السياسة من خلال نقده اللاذع المر المصحوب بتعبيره عن ارادته في الحق والعدل كأن يقول :

ساس الانام شياطين مسلطة
في كل مصر من الوالين شيطان

متى يقوم امام يستقيد لنا
فتعرف العدل أجبال وغيطان

وعلى ذلك نقيس الكثير من الامثلة التي تعكس لنا نظرته السوداء الى اهل زمانه عموما لا فرق في ذلك بين حاكم ومحكوم ، أو غني وفقير ، فلن يكون المحكوم أكثر عدلا وأقل ظلما فيما لو اصبح حاكما ولن يعطف الفقير على الفقراء فيما لو أصبح من عداد الاغنياء فيقول في ذلك :

كلنا غادر يميل الى الظلم
وصفو الايام للتعكير

ورجال الانام مثل الغواني
غير فرق التأنيث والتذكير

واذا كان نقده وتبرمه وتشاؤمه قد تناول فيما عرضنا مهاجمة الرجال ونعتهم بأقبح الصفات فانه لم يمتنع عن مهاجمة النساء ، فالمرأة تشكل بالنسبة اليه احدى مسببات النقمة التي تميز أفكاره حيث يذهب في ذلك مذهبا بعيدا فهو يحقد عليها لانها مصدر الحياة على الارض وهو اذن حاقد على النسل يريد من الناس ايقاف الحياة ويدعوهم الى الفناء :

لو أن كل نفوس الناس رائية
كرأي نفسي تناءت عن خزاياها

وعطلوا هذه الدنيا فما ولدوا
ولا اقتنوا، واستراحوا من رزاياها

ومن هنا كان سوء ظنه بالمرأة ونعته اياها بالضعف والرياء والخيانة والمكر فيقول :

فوارس فتنة ، أعلام غي
لقينك بالاساور معلمات

وشنفن المسامع قائلات
وكلمن القلوب مكلمات

فلا ترمق بعينك رائحات
الى حمامهن مكممات

ودفن – والحوادث فاجعات –
لاحداهن احدى المكرمات

والابيات المذكورة مقتطفة من قصيدة طويلة تنيف على التسعين بيتا في كل بيت منها ذم للمرأة وتحقير لشأنها ، ومثلها في اللزوميات كثير وليس هناك اسباب واضحة او حوادث معروفة حملت المعري على الازدراء بالمرأة ووصمها بكل الشوائن رغم انه يحتمل أن يكون رأيه فيها ناتجا عن رأيه الكلي في الحياة وضرورة تعطيلها وطالما أن المرأة هي المسبب الاهم لاستمرار الحياة فلا غرابة اذا نقم عليها وكان له فيها ما عرفنا من رأي. والمرأة في نظره خاضعة لقاموس اجتماعي صارم فهي لا تصلح للتعليم والفكر بل انه لا يرى لها الا الاحتجاب التام في منزلها والانصراف لشؤونه :

علموهن الغزل والنسج والرد
ن وخلوا كتابة وقراءه

ويعرب عن نظرته السيئة للمرأة في غير موضع من لزومياته فيقول :

لا تتبعن الغانيات مماشيا
ان الغواني جمة تبعاتها

ذرها وتلك نصيحة معروفة
عظمت منافعها وقل دعاتها

ونعرف من تتبعنا لآرائه المنثورة في لزومياته انه يرى العقم شرفا والنسل شرا ويهيب بالناس الى الفناء فما الوجود الا شقاء ورياء والانسان الحق هو الذي يعيش مترفعا عن كل ذلك :

كوني الثريا أو حضار أو الـ ..
..جوزاء أو كالشمس لا تلد

فتلك أشرف من مؤنثة
نجلت فضاق بنسلها البلد

ويرى المعري من تكالب البشر على جيف الحياة وملذاتها ما يجعله يتقزز من هذا الجشع فتنبت في نفسه نزعة انسانية تخطت الانسان ودفعته ان يشفق على الحيوان فقيد نفسه في نظام غذائي قاس فكان نباتيا بالمعنى الفلسفي والواقعي معا وامتنع عن تناول كل ما ينتمي الى اللحوم والاسماك والالبان وكل ماينتجه الحيوان وله في ذلك حجج يعرضها في اطار انساني كأن يقول :

غدوت مريض العقل والدين فالقني
لتسمع أنباء الامور الصحائح

فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالما
ولا تبغ قوتا من غريض الذبائح

وابيض امات أرادت صريحه
لاطفالها دون الغواني الصرائح

ولا تفجعن الطير وهي غوافل
بما وضعت فالظلم شر القبائح

ودع ضرب النحل الذي بكرت له
كواسب من أزهار نبت فوائح

فما احرزته كي تكون لغيرها
ولا جمعته للندى والمنائح

مسحت يدي من كل هذا فليتني
أبهت لشأني قبل شيب المسائح

واذا اردنا ان نطيل النظر في آراء المعري وفكره وفلسفته ونظرته الى احوال عصره فاننا نجده قد تناول جميع جوانب ذلك العصر من وجهها السلبي ، وانصافا للكلمة وللتاريخ فان عصر المعري ــ وان كان قد حمل بعض السمات والمظاهر التي أثرت في تفكيره تأثيرا خاصا ــ لم يكن عصرا استثنائيا فريدا، فليست حالنا في هذا العصر احسن بكثير مما كانت عليه في عصر أبي العلاء من كل تلك الامور التي تعرض لها كحيرته في الفلسفات واضطرابه في امور الدين والسياسة ، لكن تلك الامور اتسعت وكبرت عنده فخصص لها أدبا بذاته واصدرها في ديوان مستقل لم يسبقه اليه سابق من ادباء عصره .

ومما يلفت انتباهنا ويواجهنا خلال مطالعتنا للزوميات تلك الاستعمالات اللفظية الغريبة المتعسفة فهو دائما يؤثر الغريب من كلمات اللغة ، وبالرغم من انه يعتبر من ابرع علماء اللغة الذين عرفتهم العربية وبرغم الوثائق الادبية والتاريخية التي تشهد له بذلك كشهادة التبريزي في قوله : « ما أعرف ان العرب نطقت بكلمة لم يعرفها المعري » فان كل ذلك لم يمنع بعض النقاد والعلماء القدامى من تفسير اثاره الغريب من الالفاظ برغبته في اظهار مقدرته اللغوية وبراعته في قرض الشعر بكلمات معقدة غريبة .. وتذهب طائفة الى غير هذا فتقول ان غرابة ألفاظ ومعاني المعري تعود الى رغبته في اخفاء بعض اغراض(1) كتابه عن كثير من اعدائه الذين يتربصون به لاتهامه بالزندقة والانقلاب على الدين ، وامام هذا الرأي لا نستغرب أن يأتي شعر المعري في لزومياته غريبا صعبا مبهما .

ولكننا نمد نظرنا الى ما وراء ذلك محاولين الاشارة الى بعض السمات البارزة في اسلوب المعري فنجده شغوفا بالمحسنات البديعية والبيانية ، متبحرا في أمور اللغة وحوادث التاريخ وشؤون الفقه ، فيذكر كل ذلك في لزومياته وكأنه معجم عصره ولا يخفى على أي منا كم هي صعبة عملية الخوض في تفاصيل معجم كبير ومحاولة معرفة كافة جوانبه ، هذا ناهيك عن اضطراره الى القوافي الغريبة التي يفرضها مضمون كتابه في لزومه ما لا يلزم من القوافي .

---

1 ــ ويعترف المعري بذلك في مكان ما من لزومياته

ومهما يكن من أمر فان الحديث يطول حول أبي العلاء وفلسفته ولزومياته ، فهو يبقى بحر من التفكير الفلسفي رفد أدبنا العربي بشلال ضخم من التعمق والاحساس ، في وقت تهافت فيه معظم الشعراء على الاستجداء وطلب العطاء ، فكان المعري صورة للعقل المفكر الذي يطرح نظرياته على الناس ، ويبدأبتطبيقها على نفسه ، وكانت افكاره غنية متنوعة متباينة بمقدار ما كانت مصادر فلسفته تحمل من التباين والاختلاف ، وسما ابو العلاء في اخلاقه حتى اعتلى على المفكرين والادباء والمتدينين فكان لولبا يدورفيطبع مظاهر عصره بصراحة وصدق ، ويخلص ويشتد في الكفاح للوصول الى مجتمع اكثر اخلاقية وتهذيبا مع انه لم ير في حياته غير جوانب الفساد والوان الظلام فجاء شعره قاتما ، غافلا عن مظاهر الجمال في الطبيعة ، فقد كان السواد نظير حياته وعالمه الخاص ، وحسبه من كل ما سبق انه استن لنفسه سنة اتبعها وقد لاحظنا معالمها في آثاره عامة وفي لزومياته خاصة ، وكان صادقا مع نفسه ، فأتى ادبه من اعظيم ذلك الشعرالذي يرافق الانسان في طريق الحياة والقدر ، ونال بذلك احترام معاصريه ولاحقيه من اهل اللغة والادب والفكر وكان أثره موضوع دراستنا اثراءا كبيرا للمكتبةالعربية وتتويجا لامكانيات العقل العربي الكبير .

وحسبنا من فيض لزوميات ابي العلاء هذاالفيض راجين ألا نكون بجهلنا قد ظلمنا الرجل ، وأسأنا فهم ما ذهب اليه كما ظلمه كثير من السابقين بقصد أو بغير قصد .

نزار وجيه فلوح

جامعة دمشق ـ كلية الآداب

المراجع والمصادر :

١ ـ اللزوميات المجلدين (١) و (٢) طبعة **دار صادر** .

٢ ـ د . طه حسين : تجديد ذكرى ابي العلاء ـ مع ابي العلاء في سجنه .

٣ ـ عبد العزيز الميمني : ابو العلاء وما اليه .

٤ ـ د . بنت الشاطىء (عائشة عبد الرحمن) : ابو العلاء المعري .

٥ ـ مارون عبود ـ زوبعة الدهور .

٦ ـ الجامع في اخبار ابي العلاء : سليم الجندي



قبسات من الأدب المهجري

الشاعر : توفيق بربر

بقلم : نعمان حرب

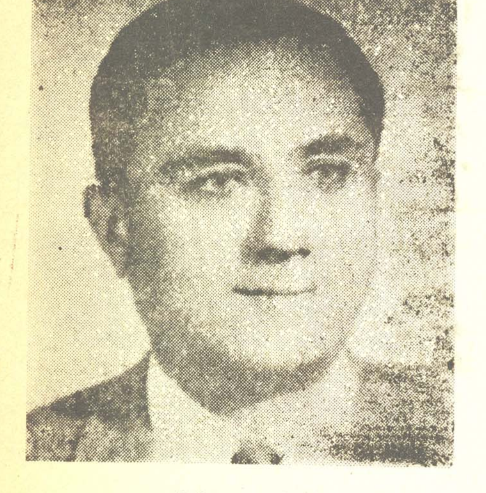
قناديل مشعة ، اضاءت بانوارها الزاهية الزوايا الخافتة في تاريخ الادب العربي ، بدءا من مطلع هذا القرن حتى منتصفه .

ودفقات من باقات الزهور والرياحين نقلتها باخرات العباب من شواطىء ((التايمز)) و ((الامازون)) فانتشر اريجها المعطر بالانفاس العربية على ضفاف ((بردى)) و ((دجلة)) و ((النيل)) و ((الليطاني)) .

وشحنات من اللهب والحمم ، والنار والبارود ، تجنح من فوق المحيطات ، وتخترق الحجب والغيوم ، وتتسمر في ارض المشرق العربي . لتنطلق منها شرارات الثورات العربية ، وتستلهم من دفقاتها



نعمان حرب



الشاعر : توفيق بربر

صلابة العود ، وقوة الايمان .

العروبة الجريح اخذت تتململ في العربن ، ونسمات التحرر أخذت تهب من الشرق وتتلاقى مع العنفات الواردة من الغرب . أجل في مطلع هذا القرن استقبل المشرق العربي القبسات المنيرة ، المتصاعدة من القناديل المشعة ، الوافدة من الاميركيتين . فاختلط القديم بالجديد ، وامتزجت مياه الينابيع الصافية بموجات البحور الهادرة . وعادت الى العرب ((أسواقهم)) ومغانيهم وارتفعت

منائرهم ، وتدفقت حضارتهم وزها أدبهم وشعرهم وفنهم . وكانت في تلاقيها واختلاطها وتلاحمها تؤلف الوانا زاهية ، وأوشحة بنفسجية ، ويافطات قرمزية . سداها عربي ، ولحمتها عربية ، وجوهرها عربي ، غير متأثرة بالقشرة الغربية ، لان الفرسة كانت عربية .

لقد هاجر عدد من أبناء العرب الى بلاد الدخان والحديد والذهب فرارا من الظلم والعبودية ، واحتجاجا واستنكارا لكذب المخادعين ونفاق المستعمرين . علهم يجدون في الموقع الجديد ، سعة العيش ، وراحة النفس ، ونعمة الحرية .

هؤلاء المهاجرون ، ارتحلوا الى الغرب ، وفي فترات من الزمن متقاربة ، فالتقوا تحت سقيفة القومية ، وجلسوا على بساطها يتبارون في الخلق ، والابداع والتضحية والجهاد ، بعد ان مزق كل منهم هويته الاقليمية او الطائفية ، واستقل بهوية القومية العربية الممزوجة بدمه ، المختلطة بدموعه ، المنسابة في شرايينه . وأخذوا يؤلفون الروابط الادبية والفكرية ، ويشيدون الاندية الوطنية والاجتماعية ، ويرسمون على لوحات التاريخ العربي الجديد أروع آيات الفن من شعر ونثر . منطلقين من تراث هذه الامة الماجدة ، ومن آثارها العظيمة الخالدة . ومحدثين الجديد البديع الذي أخذوه عن الغرب ، فكان دورهم الخلاق وفنهم الرائع ، وادبهم العميق ، وشعرهم الخالد . وكان لكل منهم قلائد من الدرر وقبسات من الاشعاع ، وصفحات من الاشراق والابداع .

واستقبل المشرق العربي هذه الموجات الخلابة ، المتحررة ، الجديدة ، الوافدة من الغرب . أطرها غربية ، ومضامينها عربية ، وروحها عربية ، ولم يتأثر بغلافها الغربي وضمها الى الموجات العارمة التي كانت راسية على وجه الارض العربية وكأنها الجبال الشم . وأحلها في صدر الروائع الندية الدافئة التي كان يحملها ادباء وشعراء العرب من تلك الحقبة المتفجرة من تاريخ الجهاد والاستشهاد .

هذه القناديل المشعة ، التي كانت تتبوأ الارائك الاولى في تاريخ الادب والشعر ، استمرت في اشعاعها زمنا غير قصير واغنت الادب العربي في الشرق ، مثلما اغنت الادب العالمي في الغرب .

هذه القناديل المشعة لم تنطفىء ، ولم يغرب نجمها من سماء الادب والفكر . وهي لا تزال حية في عطائها ، خالدة في فنها ، سامية في رسالتها . ترسل أنوارها من جديد ، كما أرسلتها من كوخ نعيمه في « الشخروب » ومن محراب جبران في « بشري » ، ومن عرين القروي في « البربارة » ومن صومعة فرحات وآل معلوف في البرازيل .

هذه القناديل قمة من القمم ، لا أستطيع الاحاطة بها في مثل هذا العرض . ولا استطيع تسميتها في مكانها وزمانها . وهل يستطيع الطائر المهيض الجناح ان يحلق فوق الغيوم ، كي يشاهد هذه القمم الملتصقة بزرقة السماء ؟

هذه القناديل خلدت بشعرها ونثرها وفنها ، وأدبها ، وبكل ما أعطته للعربية من كل طارف وتليد ، قد بلغت في شموخها السماك الاعلى ، وفي خلودها أمجد الامجاد . والزمن المجواد المعطاء ، والتربة العربية الاصيلة ، والغد المشرق الصبوح ، لا تبخل على ابناء هذه الحقبة ، من خلق النبتات الزاهرة ، والفرسات الوارفة . ولا يضيرها مكان هذه النبتات الصالحة ، او الانهار التي تسقي شروشها ، فالمهم اصالتها وطعمها ولبها . ويكون أن تكون عربية الامل والروح والنشأة .

قلت أن الزمن المجواد المعطاء لم يبخل علينا بالعديد العديد من الادباء والشعراء . ويأتي الشاعر توفيق بربر ، في صدر العقد الوهاج الذي ينتظم فيه شعراء وادباء العربية في البرازيل .

حياته وشعره :

توفيق بربر من مواليد قرية الحاكور ، قضاء عكار – لبنان الشمالي . لا يعرف أحد تاريخ ولادته ، ولا يريد ان يفصح عنها في ديوانه . لانه يعتقد ويؤمن بانه لا يزال في ريعان الصبا ، على الرغم من الشعرات البيض التي تزين صدغيه . ان روحه الشابة ونفسه المتمردة ، وقلبه المنفتح ، لا تخضع لقياس الزمن ولا تأبه بدوران عجلات العمر . هاجر الى البرازيل يافعا ، وهو الآن متزوج وله ابنتان . بدأ في نظم الشعر منذ طفولته تساعده لغة عربية متينة ، وثقافة اجنبية ممتازة .

بدأ حياته بالتجارة ، فكان حظه منها كحظ

زميله الشاعر نبيه سلامه . اذ اشتعلت النيران في معمل الاحذية العائد اليه واتلفت محتوياته . كما اتلفت من قبل ، النيران مخبر الشاعر نبيه سلامه.

جمع ما نظمه من شعر في ديوان سماه «الشلال» وكانت التسمية تنطبق على ما سجله الشاعر فيه من قصائد حافلة بالمعاني السامية ، لانها نابعة من نور عينيه ومن قلبه ومن كبده . ففي كل شطر أثر من مهجته . وفي كل قصيدة قطعة من فؤاده .

من نور عيني ومن قلبي ومن كبدي
نسلتهن ومن روحي وافكاري

فكل شطر به من مهجتي أثر
فأنت تدرج منها فوق آثاري

ولم يتمكن الشاعر من طباعة ديوانه ، بسبب فقره وعدم توفر نفقات الطباعة لديه :

واظهر بالفقر لا استحي
واجهر بالحق لا أرهب

فدفعت الاريحية العربية السيدين ميشال وعبدو شاهين من كرام المغتربين في سان باولو وهما وجهان عربيان ومن مدينة حمص ، وهاجرا الى البرازيل منذ مدة طويلة فتوليا طباعة الديوان والانفاق عليه . كما تألفت لجنة من الادباء والشعراء والتجار والصحافيين في البرازيل للاشراف على توزيع الديوان . فكان لهذا التعاون الصادق بين السادة المغتربين ، لاعلاء كلمة الادب والشعر ، ولتقدير الالهام والعبقرية والنبوغ في شخص الانسان العربي . وصدر الديوان مطبوعا طباعة انيقة وعلى ورق صقيل من النوع الممتاز ، وجرى بيعه وتوزيعه في كافة انحاء المهجر مما ساعد الشاعر على قضاء حاجياته ونفقاته . فالى جميع هؤلاء السادة تحية كل عربي في مشرق الارض ومغربها .

رسالة الشاعر في الحياة :

استهل الشاعر توفيق بربر ديوانه « الشلال » بمقدمة نثرية استهلكت قراية عشرين صفحة ، اوجز فيها اثر الشعر في النفس الانسانية ، ورسالة الشاعر في الحياة المثلى ، واستشهد بعدة ابيات لكثير من الشعراء ، ومما قاله في نثره عن الشعر :

انه كالفضاء لا يحد ، وكالزمان لا يقف على شاطيء القوافي ، ولا يتقيد بتخوم الاوزان .

هو حفيف اجنحة الخيال ، ورفيف شذا الالهام ، وتدفق أمواج الاحاسيس ، وتفجر أغوار الشعور .

هو تموجات عبير انفاس العاطفة ، وهدير صوت النفس العاصفة .

هو ومضة الفكر ، واختلاجة النفس ، وارتعاش الكلمة في أفق الخيال الخاضع لقاموس اللغة ونظام الوزن والقافية .

هو هينمة ارواح وهمس قلوب ، وتمتمة شفاه ، هو لغة الموسيقى الناطقة ، وتعبير أهل الجنة بلغة الارض .

هو نشوة الخمرة المعتقة ، وأنين الناي الباكي ، ورنين القيثار الحاكي ، وتغريدة البلابل الصادحة ، وهديل الحمائم النائحة .

الناس في كل زمان ومكان يتأثرون بالكلمة المجنحة ويؤخذون بالبيان الساحر وينفعلون بالشعر الجميل ، ما دام لهم قلوب حساسة ونفوس شفافة وما دامت لهم نظرة الى الحياة والفن والجمال لا تصدر الا عن ذوي الارواح الصحيحة والعقول النيرة والافكار الحرة .

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بغاة المعالي كيف تبنى المكارم

لقد كان الشاعر منذ بداية نظمه الشعر ، منارة هدى ومعرفة يدعو الناس الى مكارم الاخلاق ، ويرسم لهم بريشة فنان ساحر دروب الحياة ، وحقيقة الوجود . انه في حسه المرهف ، وشعوره الرقيق ، يشعر أكثر من أي انسان بالآم وآمال البشر ، ويبرزها في صور جميلة تستولي على العقل والفكر . وللشاعر مهام عظيمة ، لا تحدها حدود ، ولا تستوعبها مجلدات ، في بناء دعائم الانسانية من علم وأخلاق وفضيلة وحضارة . فهو دائم العطاء ، يقدم من روحه وفكره ، الغذاء العلوي لكل نفس بشرية

الكبرياء والعنفوان والاباء :

الذين يقرأون شعر توفيق بربر يحسون الكبرياء

والعنفوان وعزة النفس المتجلية في شعره . واسمعه يقـول :

واربأ بنفسك ان تنحط منزلة
فعزة النفس اسمى ما حوى البشر

وخذ شعارا من التهذيب تلبسه
مدى الحياة سداه اللين والخفر

ان النفوس بلا خلق ولا ادب
مثل المفاوز لا ماء ولا شجر

فاستمسكوا بعرى الاخلاق يا بشر
فهي الحياة لكم والمجد والظفر

وقـال :

خلقت لاعطي فلا اطلب
قضاء من الله لا يغلب

ونزهت نفسي وصنت لساني
فلست اداجي ولا اكذب

وحليت قلبي بملح دموعي
فاي عذاب ولا يعذب ؟

تنز جراحي فلا اشتكي
ويجفو حبيبي ولا اعتب

واغمر بالحب من يعتدي
واشمل بالعفو من يذنب

ايصعب عندي اغتفار الاذى
ووخز ضميري هو الاصعب

فلا خير في المرء ان لم يكن
معينا من الحب لا ينضب

وللشاعر جولات موفقة ، وقصائد رائعة في الحب والغزل ، ونجوى الاحبة ، ووصف ما يلاقيه المحبون من عذاب اليم في حبهم العذري ، عند فرقة الاحبة . ولا يقتصر شعره في هذا المجال على العاطفة ، بل يطرح جلبابا واسعا على فلسفة الحياة ، ويغرق حتى الذؤابة في الدعوة للحفاظ على كرامة النفس ، وسلامة العرض . ومن قوله :

وارفع نفسي منارا لغيري
كأني على افق كوكب

وقلبي من الحسن لا يرتوي
وان كنت من نبعه اشرب

وما سرني كرم المحتد
اذا ساءني الخلق والمشرب

ولست ابالي ليسلم عرفي
أ اخسر بالجد ام اكسب

فبئس حياتي اذا لم احب
وشعري ونثري وما اكتب

سأصلب يوما وأي امرىء
يخالف جيلا ولا يصلب

وعندما تنساق مع الشاعر المبدع في افكاره ، وانطلاقته وتحرره ، تلمس الثورة العارمة في روحه وفكره . واسمع هذه العاصفات من هدير الثورات على الانحراف والزيغ في بعض المجتمع :

انا ثائر كالنار والاعصار
في ثورتي عنف وفي اشعاري

انا عاصف بذرى الجبال وان اكن
عند الهدوء كنسمة الاسحار

في مهجتي نار تشب وفي دمي
يغلي الاباء كثورة الاحرار

واذا الزمان بغى انتصبت بوجهه
من عزتي ، كالمارد الجبار

الناس حولي قد طغت آثامهم
لكنني لم اجر في التيار

أقصى الفضاضة ان تمس كرامتي
ويزورني في الحلم طيف العار

لو استطيع جمعت اعداء الورى
في قبضتي وطرحتهم في النار

وجرفت كالسيل الأتي رمادهم
وقذفته في البحر كالاقذار

فكأن لي ثأرا على اهل الخنى
وكأنني احيا لاخذ الثأر

كل الشعراء العرب المهجريين يحملون آلام واحلام امتهم العربية . يفرحون اذا ارتفعت الوية

العروبة في سماء المجد، ويجسدون وثباتهم في اشعارهم ونثرهم . ويبكون وينحبون اذا المت بأي قطر عربي مصيبة او مذلة ، أو اذا انتصـرت قوى البغـي والعدوان في اي جولة من جولاتها ، عـلى اية قـوة عربية . ايمانهم الصلب لا يتزعزع ، وعقيـدتهـم الراسخة لا تتأثر بالانواء والاعاصير . غناؤهم القومية العربيـة ومثلهم الاعـلى الانسان العربـي المنتصر. وهذا شاعرنا ينشد الحان العروبة الخالدة :

للعرب حبي وما الهمت مـمن ادب
مجد العروبة مجدي والعلى أربي

ان كنت من مصر ام صنعاء أنت اخي
أم كنت مــن تونس الخضراء أم حلب

لبنان مسقط راسي وهو في نظري
احلى بقاع الدنى، والعرب منتسبي

واكرم الناس احســابا واجـدرهم
بالفخر، من كان من لبنان والعرب

هذي حديقة اخلاق تفـوح شـذا
وذاك شيخ الربى المعتم ، بالشهب

وامة العرب ما احلــى شمائلهـا
في شاهق العز او في سالف الحقب

شهادة الحق ان العـرب في ثقـة
خير الورى ونبـي العرب خير نبي

كانوا شموسا وما زالوا وان حجبوا
هنيهة مـن عيون الارض بالسحب

يا من يرى العرب اسمالا مرقمـة
بدلت عين الرضى بالسخط والغضب

من يحسب الدر كالحصباء فهو عم
أو قاس بالدرهم الدينار فهو غبـي

لا تشمتـن بمغـلوب فتقعـده
عـن الجهاد ولا تحمـد على الغلب

وان رأيت عزيزا هـــان لا عجب
في عزة العبد مدعاة الـى العجب

يكبو الجواد وينبو سيف فارسـه
والنجم يخبو ولا واق من العطب

ان الليالي افــاع في تقلبهـا
وفي اختلاف الليالي صولة النوب

يبقى الكريـم حميدا في خصامتـه
ويذهب اللؤم مذموما مـع النشب

أمـل لن يخيب :

وهذا توفيق بربر يناجي امته العربية ، ويؤمـن بانتصارها على اعدائها . ويستبشر بقدوم منظمـة « فتح » الى ساح النضال :

امتي ! آه لو تعـودين كالامس
منـار الهـدى وروض المكارم

وتعيدين للعروبـــة معناهـا
وشيئا من خلق (معـن وحاتـم)

ان في القلب مـن جراحـك جرحا
تتنزى بــه الصدور القوائم

اين وجـه « الفاروق » يزجـي
الى الفتح السرايا من عبد شمس وهاشم

انا لولا انطـــلاق بعض شبـاب
فيك اطلقت زفـرة المتشائم

رمـق يبعث الرجاء وينفـي
الموت عـن وجهك الهزيل الساهم

حفنة منك كالهبـاء اقضت مضجع
البغـي كالدواهـي الدواهــم

وفلول ردت لنـا العـار مجـدا
قـد اضعناه في الجيوش الخضارم

هكذا « الفتـح » للنـداء جحيم
في ثقـاب وجحفـل في شراذم

هكذا كنت في السنين الخوالي
وستغديـن في السنـين القوادم

ماساة فلسطين :

لا تغيب مأساة فلسطين من قلب وضمير اي مهاجر عربي . وهذه المأساة ، التي تعتبر في هذا القرن ، أولى المآسي ، واكبر القضايا المطروحة على وجـه الكرة الارضية . يقف شعراء العربية في المهجـر ، امـام عدالتها ، وقلوبهم مفعمة بالآمال ، ينشـرون على شفرات السيوف واسنة الرماح ، حبات قلوبهم

ونفثات أكبادهم . وهذا توفيق بربر ينشد عام ١٩٥٦ في مسجد البرازيل قصيدة « فلسطين » :

سليل العلى يبقى على الدهر سيدا
هو السيف لا يغدو من الثلم مبردا

وما عاش من لا بد من موته غدا
وما مات من لا شك في بعثه غدا

ترقب طلوع الشمس من شرق شرقها
ودع مغربا لولا سنى الشرق ما بدا

سلام على العهد الذي كلما هفا
يذكرنا النصر الذي شرف العدى

مشينا الى الفتح المبين جحافلا
نلقن اهل الارض أمثولة الهدى

وكل يمين صارم يحصد الخنا
وكل شمال ديمة تمطر الندى

أياد مددناها الى الناس حرة
« ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا »

فلو كان للدنيا وفاء لهزها
ففي مسمع الدنيا لغاراتنا صدى

* * *

فواها على العهد النضير وان يكن
يعز على الاحرار ان تتنهدا

تذكرته لما تذكرت أمة
مبعثرة تحكي قطيعا مشردا

وليس كثيرا ان اقمت مناحة
ولي وطن لولا القليل تهودا

شكى عريه المزري الى زعمائه
فحاكوا له ثوبا من الذل فارتدى

أرى قطعا من امتي في عرائه
نثرن كأشلاء وقد كن اكبدا

وقد زاد في البلوى وفي الطين بلة
صدى جعجعات لا تبل لها صدى

فأكبادنا في البيد يقتلها الظما
واسيافنا في الغمد يأكلها الصدى

فلا تحسبوا الانشاد فيهم شماتة
فكم طائر يبكي من اليأس منشدا

* * *

رويدا فلسطين فليلك ينجلي
وما أقرب اليوم الذي كان ابعدا

ولا تيأسي يا أم كل عجيبة
مخردلة الايمان تختصر المدى

غدا تملأين الجو انسا وغبطة
كما اطلق الفجر الهزار المغردا

ولون غد صافي البياض لمؤمن
ويبصره من حالف اليأس اسودا

اطلت على الدنيا طلائع مجدنا
كشمس الضحى الزاهي سنى وتوقدا

سكتنا على الباغي اللئيم هوادة
وقد غره منا الندى فتمردا

الا فليعش حتى يعيش الى غد
ليبصر منا عكس ما قد تعودا

سننقض في الجلى عليهم صواعقا
ونغمرهم بالنار والعار والردى

فما دولة الاقزام الا جزيرة
محركة بحرا من الغيظ مزبدا

ضللنا عن القصد السوي غواية
وقد وجدت كف الغواية مرشدا

(جمال) الفتى الهادي الى النصر قومه
ومشبعهم عزا طريفا وسؤددا

فيا (ناصر) الشرق العظيم وركنه
ومن هز أركان المغارب مفردا

بعثت من الارماس مجد محمد
فارضيت في القبر النبي محمدا

دخلت الى التاريخ من قلب أمة
فتحت لها بابا على الخلد موصدا

فسر (كصلاح الدين) للغاية التي
تؤلفنا صفا قويا موحدا

وهذه الرؤيا ؟

لا يوجد اعمق وانبل من هذا الحس المرهف ، الذي يغوص في اعماق النفس البشرية ، وينساب مع الحلم الجميل ، حتى يصبح وكأنه حقيقة واقعة . ولا يوجد ما هو اسمى من شعور انسان ، تدق نبضات قلبه – في لحظات اغفاءته – على زفرات الالم التي تنتاب امته . لا يفكر في نفسه ، وفي زوجته وأولاده ، ولا يفكر في غداه وسعادته . ولكنه يتخيل وطنه الجريح ، وامته المغلوبة ، فيحدوه الامل ويقول :

رهافة حس مثل حد المهند
ترينى بيومي صورة الامس والغد

ترينى بعين الروح رؤيا جميلة
تمر مرور الطيف في جفني الندي

كأني أرى في (القدس) ابطال يعرب
تروح كأمواج الخضم وتغتدي ..

وابصر (بن غريون) بعد اعتدائه
ككلب باصفاد الهوان مقيد

(وطوران) عن كيليكيا ولوائها
(كصهيون) يجلو تحت ضرب المهند

وزال اختلاف العرب والتف شملهم
يؤلف عقدا كالجمان المنضد

ونيطت عرى الاديان بالله وحده
كتذويبنا الاوطان كلا بمفرده

وقرآن (طه) زان كل كنيسة
وانجيل (عيسى) ضاء في كل مسجد

وتقترب الاشباح مني وتنجلي
فيسفر وجه الغيب عن خير مشهد

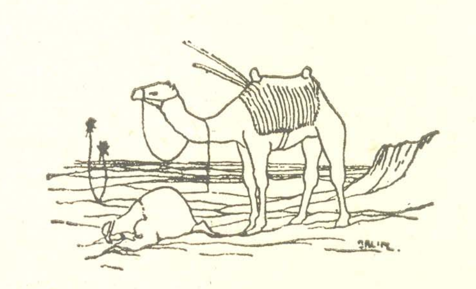
أرى أمة كالشمس عند ارتفاعها
يعب الورى من نورها المتوقد

يفيض الندى من راحتيها كديمة
ويقصدها الوراد من كل فدفد

تسر بها الجلى وتفتخر العلى
وطالعها الميمون .. كالله سرمدي

لا يستطيع الكاتب ، ان يلم بصورة كاملة ، ويعرض هذه اللآلىء التي حوتها كنوز « الشلال » . لا سيما ونحن في معرض تعريف فقط على شاعر مرموق من شعراء العربية في المهجر . لان شعر توفيق بربر ، وما يحتويه من عمق في المعنى والمبنى ، ومن قوة في السبك والقافية ، ومن روعة وسلاسة في كل حبة من هذه القلائد ، يصعب وصفه في مثل هذه العجالة . ولكنني عرضت أمام القارىء العربي بضعة باقات معطرة فواحة ، جنيتها من حديقة غناء عائمة بالازهار والورود ، غنية بانواع الفتنة والسحر والجمال

السويداء – نعمان حرب



ديموستين

«اشهر خطباء اليونان»

دراسة: عبدالحي سليمان نغوف

« أيها الاثينيون . حتى متى سكونكم واخلادكم الى التواني ؟ متى تدب الحياة في عروقكم ويسري الشعور بالواجب في اعصابكم .. »

بهذه الكلمات كان ديموستين يشعل الحماسة الوطنية في شعب اثينا لينبههم الى الخطر الذي يهددهم من ملك مقاطعة مقدونيا في شمال بلاد اليونان الملك (فيليب) والد الاسكندر الاكبر.

قبل ميلاد المسيح بأربع وثمانين بعد مئات ثلاث من السنين كانت ولادة خطيبنا العبقري « ديموستين » وتوفي ابوه وهو في السابعة من عمره بعد ان خلف وراءه ثروة كبيرة ومصنعين احدهما لصنع الاسلحة .وتركت الثروة بيد اوصيائه الثلاثة الذين راحوا يبددون اموال الطفل وثرواته . وعندما كبر هذا الطفل وبلغ الثامنة عشرة من عمره طالب برفع الوصاية عنه وطلب من اوصيائه كشفا باموا له الموصى له بها .. وباعتبار ان الاموال قد صرفت وتبددت ادى هذا الى الدخول معهم في نزاع قضائي دام ثلاثة اعوام . وخلال هذه السنوات لم يخرج ديموستين بالمال الكثير ولكنه خرج بمعرفة كبيرة بالقانون واجراءات القضاء .. وخرج وقد امتلأت نفسه بغضا لكل ظلم واعتداء . فأراد ان يدرس القانون لكي يتمكن من مخاصمة اوصيائه ومناقشتهم وكان له ذلك على يد احد علماء القانون الذين اشتهروا بالفصاحة والاسلوب الانيق واسمه « ايسايس » .

حتى كانت مرافعاته الاولى في قضيته حيث لاحظ عجزه وضعف حيويته وتلعثمه بالكلام .. فصمم على تعديل كل هذا ليصبح خطيبا قادرا على الكلام والمرافعة .

سمع الخطباء فاعجبته فصاحتهم وهز شعوره ما يحظون به من تصفيق الناس واعجابهم .. فراح يمني النفس بأن يكون خطيبا مثلهم . ولما كان نظام القضاء في اثينا ـ وهي اكبر ولايات بلاد اليونان المقسمة وأوفرها حضارة ومدنية ـ فكان النظام فيها يبيح لاي شخص ان يطلب الى القضاء محاكمة من يرى انه ارتكب امرا يستحق عليه العقاب ويقوم الطالب في هذه الحالة بدور المدعي العام . وتحت ظل هذا النظام تزكوا الخطابة .

حقا كانت المحاولات الاولى التي قام بها ديموستين لا تبشر بخير فقد كان ضعيف الصوت ، مرتبكا باشارته قصير النفس .. وبلسانه لثغة تزيد في ارتباكه عند الكلام .

فوقع في حيرة وكاد يصاب باليأس من وصوله الى مرماه وغايته بأن يغدو خطيبا يشترك بفصاحته في

ادارة شؤون الحكم والسياسة . وفي غمرة هذه الحيرة وذاك اليأس كان ان تعرف على الممثل الشهير في ذلك الوقت « ساتيروس » الذي اكتشف العقل الذي يتوقد ذكاء والقلب الذي يشتعل حماسة والنفس التي تضطرم طموحا .. فشجعه واعاد اليه الثقة بنفسه واقنعه بان لديه من مواهب الخطيب اكثرها ولا ينقصه الا حسن الالقاء واجادة النطق وهو شيء يكسب بالمران والمثابرة .

وصمم ديموستين ان يناضل حتى يصل الى القمة التي هي مرماه وغايته . فبدأ رياضة شاقة بعزيمة لا تعرف اليأس . فشيد لنفسه حجرة تحت الارض كان ينفرد فيها ليتمرن على الخطابة .. فكان يقف امام المرآة ليختار الاشارات المناسبة وقت الالقاء .. وكان يضع الحصى في فمه وهو يتكلم ليحل العقدة من لسانه وكم صعد الى الجبل راكضا وهو ينشد ابياتا من الشعر بصوت مرتفع . وكم وقف على ساحل البحر يرفع صوته بالكلام حتى يغلب صوت هدير الامواج . وكم من مرة كان يحلق نصف شعر رأسه ليرغم نفسه على ملازمة حجرته الشهر والشهرين لا يرى الناس منكبا على دراسته وتمرينه .

ومرت السنوات على هذه الرياضة الشاقة التي خرج بعدها ديموستين مكللة جهوده بالنجاح . فارتقى بعد ذلك المنبر .. فلم يخش الجمهور بل ملك الاسماع والقلوب .. ولم يلبث ان اصبح خطيب الجمعية الوطنية . بل خطيب أثينا الاعظم .

وما أروع تلك الكلمات التي قالها عنه المؤرخ الكبير « فنيلون » : اننا اذ نسمع ديموستين لا نفكر في كلماته فهو يبرق ويرعد .. وهو سيل يجرف كل شيء يعترض سبيله .. فلا نستطيع ان ننتقده او نعجب به لاننا نكون قد فقدنا السيطرة على مشاعرنا » .

هذا هو ديموستين وقد نضجت عبقريته واكتملت قوته .. فما هو الدور الذي هيأه له القدر ليلعب على مسرح الحياة . هو الحق ما قاله « فنيلون » لان القارىء اليوم لخطب ديموستين يشعر فيها صدق الكلمة والاخلاص وهذا ما يوحي بثقة الخطيب الكبرى ويمتلك الاعجاب بتدفق وغزارة المادة والمنطق السليم الممزوج بروعة الموضوعية التي تقنع العقل .. وجمال الحماسة التي تثير الشعور وتهز المشاعر . كل هذه الخصائص التي جمعها ديموستين في اسلوبه الخطابي جعل الكتاب والمفكرين يجمعون آثاره ويكتبون عنه بحوثهم الكبرى .

فقد خصص « دايونيسياس » بحثا عنه فقال : انه قد سما بالنثر اليوناني الى حد الكمال بما قام من مزج رائع بين عناصر كانت لا تزال متفرقة في ذلك الوقت بل لقد فاق المتخصصين في كثير من الفنون . لقد فاق مدرسة « انيتفون » في الوضوح والصفاء ومدرسة « ليسياس » في الحماسة ومدرسة « ايزوكرات » في التنوع والقوة والشعور العميق .

هذا هو ديموستين الذي جمع في شخصه بين الوطني المتحمس والسياسي البعيد النظر والفنان النابغ الذي لا يشق له غبار .

وبعد أن نال اجازة رسمية في الحقوق وطفق يترافع بنفسه في مجالس القضاء وجمع ثروة كبيرة من المال زاد اهتمامه بالسياسة والاصلاح فقدم برنامجا عمليا لاصلاح الانظمة السائدة بصورة تعزز الديموقراطية وتزيد في ثروة الدولة وقوتها العسكرية .

فراح يطالب باصلاح القوانين واجراءات التقاضي . ويهاجم محترفي السياسة والمتطفلين على التشريع وينادي بأن تنتصر أثينا لكل مدينة يعتدى عليها حتى تسود العدالة السياسية ويزول الظلم والطغيان فقال في هذا المجال : « ان الظلم والخداع ونقض العهود لا يمكن ابدا ان يؤدي الى قوة حقيقية .. انها قد تؤدي الى سيادة وقتية .. ولكن الزمن لا يلبث ان يعصف بما شيدته من احلام .. وكما ان الطبقات السفلي للمنزل يجب أن تكون قوية متينة كذلك يجب أن تقوم كل سيادة على دعائم من الصدق والشرف » .

لقد كان الخطر على أثينا كبيرا لكن قوة وعزيمة ديموستين في الحفاظ على بلاده كانت اكبر فمن فصاحته جعل سلاحا قويا يشهره في وجه « فيليب » ملك مقاطعة مقدونيا الذي أراد بسط نفوذه على بلاد اليونان كلها .. فوقف ديموستين يشعل الحماسة الوطنية في نفوس شعب اثينا ويحثهم على النهوض والثبات والنضال في خطبه التي اشتهرت باسم « الخطب الفيليبية » أو « الفيليبيات » فيقول : « أي دافع للنفوس الابية لعمل الواجب اقوى من تهديد مجدها بالزوال وشرفها بالتمزق وكلمتها

بالتفرق ؟ انه لعار لن يفارقكم ولن يمحوه الموت يوم يواريكم في قبوركم فيا عجبا .. عجبي يمزق القلب . أي نبأ هناك غير ان مقدونيا يسعى لقهر اثينا وسحق مجدها واستعباد اليونانيين جميعا .. وحق الآلهة لئن لم تهبوا من رقادكم ليسلطن عليكم فيليب آخر ليس دون هذا في الشدة عليكم . فان فيليب ما قوي اليوم الا بضعفكم ولا تحرك الا بسكونكم » .

وطوال عمره كان ديموستين يكره فكرة الاعتماد على الجنود المرتزقة المأجورين فهو يقول : « لا تقولوا المرتزقة .. نريد رجالا احرارا أنبتتهم تربة أثينا .. يرون سعادتهم في عزها .. وشقاءهم في ذلها من ارضها كانت بدايتهم وفي ارضها نهايتهم ، منها خلقوا واليها يعودون مرة اخرى . اولئك هم اباة الضيم الذين يبذلون دماءهم لتخليص أشرفها من الاذى » .

ولما شعر ديموستين بأن « فيليب » يخطط للاستيلاء على حصن للاثينيين بالقرب من بيزنطة وقف لينبه الحكومة والشعب من هذا الخطر المحدق فقال : « ان الحروب لا ضابط لها ولا قانون فهل تريدون الانتظار حتى يأتيكم نبأ الاغارة المفاجئة فيضيع الوقت في المشاورة وحشد الجيوش وتدبير نفقاتها حتى تفوت الفرصة وتسقط المواقع التي نريد الدفاع عنها في يد أعدائنا قبل ان نخف لنجدتها اما الآن وقد اصبح فيليب على الابواب فقد وجبت علينا المبادرة الى تغيير هذه الخطة الخرقاء » .

وكان لديموستين ما رأى فأصدرت الحكومة قرارا بتجهيز عدة اساطيل لحماية الحصن وهذا ما حدا بالملك فيليب الى العدول عن عزمه وتوجه الى مدينة « أولنتوس » التي استنجدت بأثينا .. فأسرع ديموستين الى المنبر يدعو الى نجدتها ويؤكد لاهل اثينا ان مصلحتهم تقضي عليهم بمقاومة طغيان فيليب ووقف زحفه فيقول : « انكم لا يمكن ان تكونوا اخطأتم ايها الاثينيون اذا اخذتم على عاتقكم عبء القتال من أجل الحرية والسلامة للجميع .. اقسم لكم بكل من مات في سبيل هذه البلاد » ..

وقد استجابت اثينا لندائه فارسلت حملة عسكرية كبيرة من المرتزقة غير ان الخيانة اضاعت على « اولنتوس » الفرصة بالمدد القادم من اثينا فقد اغرى فيليب قضاة « اولنتوس » بالاموال الطائلة حتى فتحوا له أبوابها وسلموه المدينة فأباحها فيليب للنهب والسلب وباع أهلها بيع السلع . وهكذا زادت قوة فيليب وزاد معها عدد المسالمين الخائفين من بطش فيليب فأرسلت اثينا وفدا للصلح مع فيليب ونص بأن يكف الطرفان عن الحرب مع احتفاظ كل منهما بما تحت يده من بلاد . غير ان فيليب لم يعدل عن اطماعه فأخذ يعمل لعزل أثينا عن باقي المدن الاغريقية .

وفي خطبة له يرسم ديموستين لاهل اثينا سياسة عملية فيقول في المجلس : « يجب ان يسارع كل منكم الى التبرع بنسبة مما يملك ثم انهضوا بالجيش واحتفظوا بقوات مسلحة قوية حتى اذا تهيأ فيليب لغزو الاغريق وجدتم الجيش اللازم لصده وامداد حلفائكم ، هل تظنون ان فيليب لن ينالكم بأذى اذ ظللتم وادعين لا تحفلون بما نعمل ؟

لو أكد لكم ذلك أحد الآلهة فاني اشير به عليكم . أجل فليشر به من يشاء غيري » .

بهذه الكلمات التي تتقد حماسة واخلاصا كان ديموستين يدعو الاثينين الى القتال بكل حماسة تستهوي السامعين وباسلوب غني بالمنطق والاقناع والدلائل والحماسة وهذا ما حدا بالملك فيليب نفسه ان يقول عن ديموستين : « اني لاعطيه صوتي ليعلن الحرب على بلادي واسلمه قيادة الجيوش » .. وما اعظم هذه الشهادة من عدوه الذي كان هدفا لسهام بلاغته والفضل ما شهدت به الأعداء .

ونهضت أثينا لتخليص بيرنتوس وبيزنطة من سيطرة فيليب فسيرت اسطولا ضخما تبرع ديموستين بشراء وتجهيز احدى سفنه من ماله الخاص .. فخسر فيليب المعركة ولم يستطع الاستيلاء على بيزنطة واضطر الى رفع الحصار عنها والعودة خاسرا ... وهذا ما رفع اكثر من مكانة ديموستين العظيم في أعين اهل أثينا وحكومتها فأهدوه تاجا من الذهب الخالص اعترافا بفضله وتقديرا لجهاده وجهوده وعندما ذاع خبر قتل فيليب على يد احد ضباطه عمت الفرحة بلاد اليونان وحمل اهل أثينا ديموستين على الاعناق وادخلوه الى المجلس العام متوجا باكليل من الزهر .. فهاجم سياسة مقدونيا ودعا مواطنيه الى الثورة على الاسكندر وارسلت أثينا بناء على

نصيحة ديموستين سفراءها الى البلاد اليونانية المتفرقة تدعوها الى مقاومة خليفة فيليب والثورة عليه . لكن الاسكندر اسرع بالعودة من آسيا الصغرى لاخماد حركات التمرد فسحق الثورة في « ثيبا » وهدم منازلها ما عدا منزل الشاعر « بيندار » . وارسل الاسكندر وفدا الى اثينا يطلب إعددا من الزعماء والقواد واعتبرهم مسؤولين عن الحركات المعادية له وكان في مقدمتهم « ديموستين » واستولت الحيرة على اثينا وتناقش المجلس بحضور ديموستين الذي روى لهم قصة الذئاب التي عاهدت الرعاة مرة على الا تهاجم القطيع اذا سلموها كلاب الحراسة فقبل الرعاة ولكن الذئاب رأت الحظيرة بعد ذلك خالية من الكلاب فهاجمت القطيع وفتكت به .

ورفض المجلس طلب تسليم الزعماء والقواد وارسل الى الاسكندر وفدا يتلمس منه العفو عن خصومه فنجح الوفد في مسعاه وتم الصلح بين أثينا والاسكندر المقدوني .

وانتهز « هاربال » وزير مالية الاسكندر انشغاله بالحرب في آسيا فاستولى على الاموال وجهز اسطولا من ثلاثين سفينة وجيشا من المرتزقة وهرب الى اثينا ليشعل الثورة على الاسكندر ولكن اثينا رفضت قبوله عملا بنصيحة ديموستين الذي اقترح القاء القبض على هاربال وحراسته حتى يعود الاسكندر وحفظ المال الذي معه فوافق المجلس على اقتراحه وبقي المال محفوظا تحت اشراف لجنة يراسها ديموستين وانتهز خصومه الفرصة واتهموه بالاهمال الجسيم في مراقبة الحراس حيث هرب هاربال من معتقله وأثاروا الشك حوله فطلب ديموستين من المجلس تكليف لجنة للتحقيق في الموضوع وان تبين لهم انه قد سرق شيئا من المال فانه يقبل حكم الموت راضيا .

وانتهى التحقيق بادانة ديموستين دون تقديم دليل مادي فحكم عليه بأن يدفع غرامة قدرها خمسون وزنة ولكن ديموستين هرب الى احدى الجزر حيث أقام في منفاه بعيدا عن اثينا .

وبعد عدة اشهر من خروج ديموستين مات الاسكندر في مدينة بابل عام ٣٢٣ ق.م بتأثير الحمى . أصدر المجلس العام في اثينا قرارا بالعفو عن ديموستين ودعوته للعودة الى بلاده ولجأ المجلس العام الى نوع من الحيلة لاعفائه من دفع الغرامة المالية الضخمة التي لم يكن يجيز الغاءها . فقد كان من المعتاد ان يمنح الشخص الذي يتقدم بضحية لمذبح الاله « زيوس » مبلغا من المال . فطلب المجلس من ديموستين ان يقدم للاله زيوس ضحيته مقابل خمسين وزنة وهي قيمة الغرامة وكان ذلك .

واستلم « انتيبانو » الحكم في مقدونيا الذي انتصر على البلاد الاغريقية الثائرة في وجهه وهزمها في موقعة « كرانون » سنة ٣٢٢ ق.م واقتربت جيوشه من اثينا واعلن انه لن يهجم عليها فيما لو تم تسليمه الزعماء الوطنيين وعلى رأسهم ديموستين . واستطاع « ديماوس » اكبر خصوم ديموستين ان يحمل المجلس على قبول شرط القائد المنتصر « انتيباتر » وتسليم الزعماء وبينهم الخطيب العظيم .

وادرك « ديموستين » انها النهاية .. فهرب الى جزيرة « كالوريا » ولجأ الى معبد الاله « بوسيدن » الذي كان حرما يقدسه اليونان .

وارسل « انتيباتر » العملاق الكبير « اركياس » للقبض على ديموستين فحاصر المعبد مع فرسانه وحاول « اركياس » ان يحمل ديموستين على الخروج من المعبد ..

ولما إعرف ديموستين ان لا مفر من الهرب برقت عيناه بحقد كبير وعزم رهيب وقال لرسول «انتباتر» : انتظر حتى اكتب لاصدقائي .

ثم انسحب الى غرفة في المعبد وكان ظاهرا لمن في الخارج وتناول قصاصة ورق ثم جلس امام منضدة في الهيكل كأنه يريد الكتابة ووضع القلم في فمه وعض عليه باسنانه ـ كعادته عندما يريد الكتابة ـ ثم تقلصت عضلات وجهه فمال براسه الى الخلف وسحب رداءه وغطى به وجهه ورأى ذلك الواقفون بالخارج فظنوا ان الخوف قد استبد به ودخل عليه اركياس ليشجعه على النهوض وهو يكرر وعوده ومساوماته .. وكان ديموستين قد شعر بأن السم الذي امتصه من القلم قد بدا يسري في أوصاله .. فأزاح الرداء عن وجهه وقال : « الآن يستطيع اعداء اثينا ان يطرحوا جثتي الى الجوارح بغير اكتراث .. ولكنني ايها الاله

الكريم « بوسيدن » انني اترك معبدك حيا لكي لا أسمح لانتيباتر ورجاله أن يدنسوا قداسته » ..

ولم يكد يتخطى عتبة معبد الاله حتى انهارت قواه وسقط .. واسلم الروح بصيحة اخيرة .

ومضى « ديموستين » وانتهى .

ومهما حاولنا .. وحاول غيرنا نقل بعض ما جاء في خطبه فستظل الكلمات رمادا فانه نار الحياة وحرارتها بعد ان قام بينها وبين العالم ستار الموت والخلود .

وسيظل الحجاب قائما بيننا وبين الخطيب ومنصته والجمهور وحماسته .. والزعيم وحرارته وهكذا صنع « ديموستين » النهاية ليبقى اسمه محفورا في شرايين القلوب .. وفي شرايين القلوب أنت يا ديموستين .

سلمية ـ عبد الحق نعوف

بعض المراجع التي اعتمد عليها في هذه الدراسة

١ ـ خطباء اليونان تأليف ج . ف دبسون ترجمة امين سلامة .

٢ ـ دائرة المعارف البريطانية .

٣ ـ ديموستين ـ من سلسلة اعلام الحرية تأليف قدري القلعجي .

يا زمان الوصل

للشاعر: سعيد قندقجي

الى التي ..... في الكاف دوروا

أشرقت في وجنتيها نشـوة ... مـن صبا بكر ومن وجد وراح

كلما أورق لحن أخصبت ... فرحا يهمي كأنداء الصباح

ضمنا الليل فأبحرنا هوى ... كل ما فينا شراع أو جناح

لا نطيق الصمت اما سكنت ... نسمة فينا أعدناها رياح

واذا نلم روض بوجه ... نعصر الرمل فيمتد صداح

هـذه أقداحنا ، ما فرغت ... غدوة منها ولا جف رواح

شفة الكأس وأفديها على ... شفة تكنز وردا وأقاح

غرقت فيها فشفت عن جوى ... أنا بعض منه ، قلب مستباح

ودمي فيها نبيذي الرؤى ... هل رأيت الكأس تنساب جراح

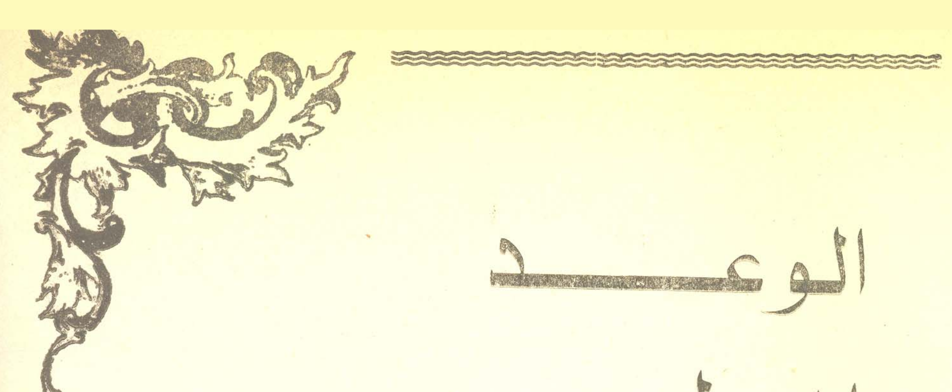
كل أشواقي وأحلامي فدى ... كل أيامي لعينيها .. أضاح

يا زمان الوصل لا تسرع بنا ... أنت من زهو الفراديس وشاح

ليت عمري كله في لحظة ... تسكر العالم فينا وهو صاح

● سعيد قندقجي





الوعد المعطر

شعر:
وفاء علي

موسم الوعد المعطر   لون العمر، ونضر
رف في عيني نعمى   من كنوز الحلم .. جوهر
حلما .. ما زال في جفني   في جفنيك .. أخضر
حلما .. نيسنه الحب   وغناه، فأزهر
فاسقه من خمرة الذكرى،   ودلله ... فيسكر
واعطه من دفء قلبينا ..   لكي ينمو .. ويكبر

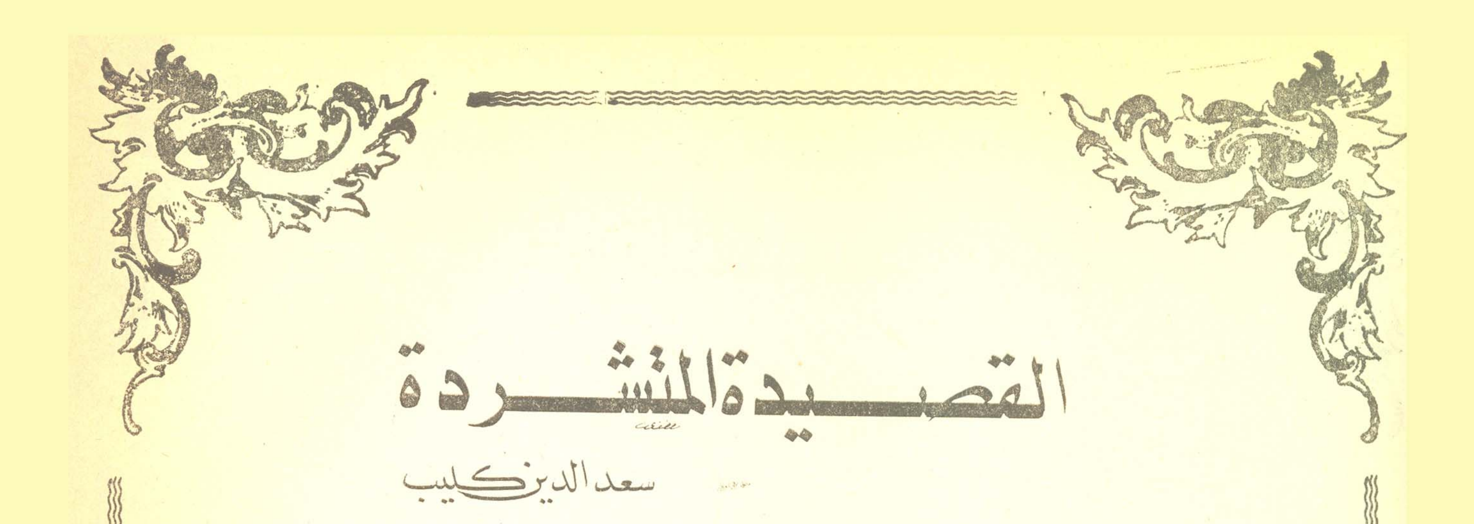
• • •

رب يوم فيه يغدو   برعمي أحلى وانضر
فأصوغ الهدب شالا   عطر الرفة .. أحمر
فاذا صار بكفيك   ورف الثغر كوثر
حمل الشال لعيني   من الانجم .. بيدر ..!



● وفاء علي





القصيدة المتشردة

سعد الدين كليب

عيناك في السفر الطويل حكايتان   تسقي حروفهما دموع السنديان

تسقي ... وتنهمر الرؤى أغنية   خضراء ترسم دهشة التحنان

أولجعتان تراهما ..؟ أم صرختا   شعب يحطم لعنة القضبان

كالعشق ظلهما علي .. وكالمدى   كالرفض لطفهما ... وكالاحزان

آه .. وينسفح الجنون بخاطري   ويمل مني ناقما ... شرياني

وتضج أوردتي ويشتعل الصدى   صخبا ... ويكفر بالهدى حرماني

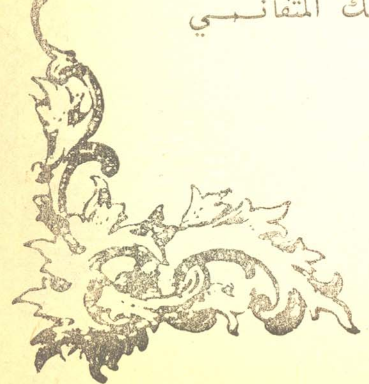
اني مشيت على الطريق وها أنا   ماض على وجع الطريق أعاني

أنا لست من وطن الدموع وانما   قد جئت أرفع بيرق الانسان

فلتشتعل عيناك بالرفض الطهور   بهاجسي .. ولينتعش ايماني

ولترتحل في الليل اسئلة جثت   فوق الرصيف تريد رجم زماني

هلا حملت رماد تاريخي القتيل   على هوادج عشقك المتفاني



تاريخي المجدور ساح مجازر — بلهاء .. ليس بها سوى الكفران

تاريخي المجدور لعنة أعصر — ترتاح تحت محاجر النسيان

أنا .؟ من أنا؟! اهمس تبدد في الصدى؟ — أم لوحة أضحت بغير معان ؟

أم كلمة ضاقت بقيد حروفها — فتفجرت زبدا .. وظل دخان ؟

أم رعشة حامت وحامت في الدجى — وتغربت بحقائب الغثيان ؟

أنا كل هذا .. ربما .. ولربما — لا شيء بين دفاتر الازمان

لكنما قد جئت رغم تشردي — أهدي اليك طهارة الانسان

أهديك من وجعي الطهور وصرختي — صبحا ... يعفر جبهة الشيطان

فلتشتعل عيناك يا امرأة الجنون — بثورتي ... ولينفجر بركاني

فلقد رحلت .. وفي الرحيل منازلي — ولقد سكنت .. وفي المدى عنواني

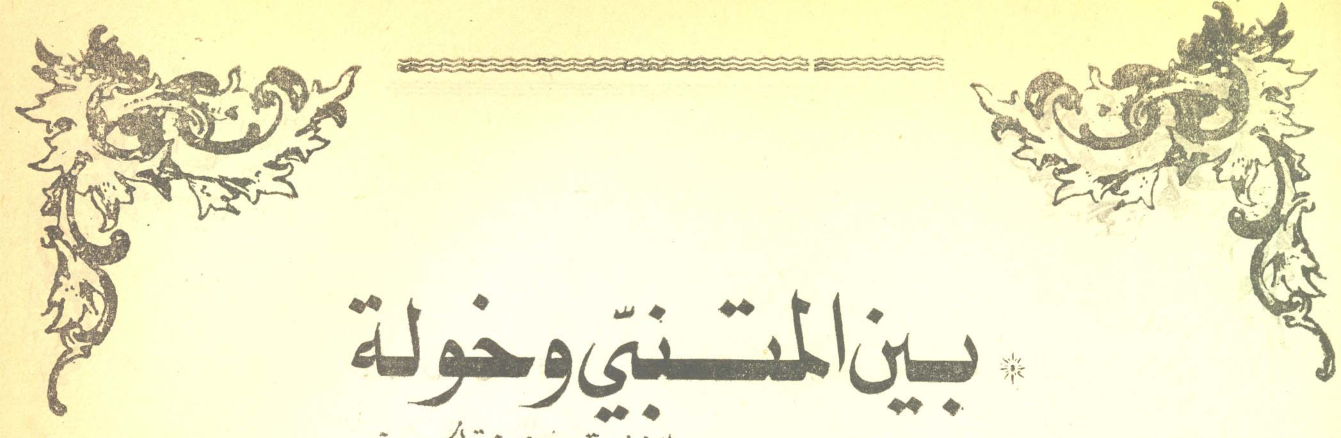
فالافق يا امرأة الحنين محارم — بيضاء .. تمسح لوعة الالوان

هاتي يديك ... كصرختين ضعيهما — في القحط يغد القحط دمعة عان

اني أحبك .. فاحملي معي الهوى — ياما حملت الى الهوى أكفاني

حماه — سعد الدين كليب





بين المتنبي وخولة

للشاعرة : عفيفة الحصني

المتنبي :

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي ‏ ‏ ‏ ‏ ينوء بطرف مستهام مؤرق
ودونك دل الغانيات يروعني ‏ ‏ ‏ ‏ ودوني قلبي العف يرنو ويتقي
أخولة مالي اكتم الحب والهوى ‏ ‏ ‏ ‏ يمزق احشائي بسهم محدق
لسحرك اعيائي وسهدي ولوعتي ‏ ‏ ‏ ‏ وللحب ما لم يبق مني وما بقي

• • •

خولة :

حبيبي مهلا ان قلبي متيم ‏ ‏ ‏ ‏ وبي ما تعاني من غرام محرق
ولكنني اخشاك يا عاشق الوغى ‏ ‏ ‏ ‏ ببيد على خيل حواليك سبق
اما قلت رايا والنجوم شواهد ‏ ‏ ‏ ‏ عليك ، بشعر نابض متدفق :
وغير فؤادي للغواني رمية ‏ ‏ ‏ ‏ ومن يزحم الامواج في البحر يغرق
ولا تحسبن المجد زقا وقينة ‏ ‏ ‏ ‏ وان تعطني حد الحسام فاخلق
وللخود مني ساعة ثم بيننا ‏ ‏ ‏ ‏ فراق وبيد بين غرب ومشرق
وما العشق الا غرة وطماعة ‏ ‏ ‏ ‏ ويفعل فعل البابلي المعتق
يعرض قلب نفسه فيصيبه ‏ ‏ ‏ ‏ ولا رأي في حب الغواني لمنطق
تركنا لاطراف القنا كل شهوة ‏ ‏ ‏ ‏ وما سرت الا فوق هام مغلق
اعز مكان في الدنى سرج سابح ‏ ‏ ‏ ‏ الى البحر يمشي ام الى البدر يرتقي
وخير رفيق في الحياة مهند ‏ ‏ ‏ ‏ وشعر تفيض في اكلام منمق



محب كنى بالبيض عن مرهفاته — وبالسمر عن سمر القنا دون بيرق

فكيف أراك اليوم ترفل بالهوى — وتخطب حبي مستهينا بخندقي ؟!

نعم أنا حيران وحبك شاغلي — ودونك سيف البارق المتألق

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه — لغير حسام سمهري وفيلق

تحديت أهل العشق حتى خبرته — وعيرتهم حتى تصدع زورقي

وما كان سهلا ان يروضني الهوى — ولكن من يبصر جفونك يعشق

واخفيت عنك الحب حتى رأيته — يفيض بلا اذن ويغرق مفرقي

واحلى الهوى ما شك في الوصل ربه — ووصلك في متن السحاب المحلق

أجلك عن همس الضمير اذا سهت — عيون الرقيب الساهر المتسلق

واعليك عن نجوى العيون اذا وعت — حديثك فتانا بغير تأنق

وأفديك يا ظبي الفلاة بمهجة — رأت فيك حسن الريم غير منمق

صبرت وما صبري على البعد سلوة — ولكنني أهواك والخيل تلتقي

ووجهك وضاح وثغرك باسم — وسعيك مشكور لنصر موفق

تقولين ما في الناس مثلك عاشق — جدي مثل من احببته تجدي عشقي

دمشق — عفيفة الحصني

---

(١) تخيلت هذا الحوار بين الشاعر ابي الطيب المتنبي وخولة اخت سيف الدولة وضمنته اقوال المتنبي التي جمعتها من مختلف قصائده المتباينة في الوزن والقافية واضفت اليها ما يحتاج اليه ترابط المعاني وادخلت على بعضها تغييرا طفيفا لتوحيد الوزن والقافية .

ملامح من الواقع والتكنيك القصصي
في مجموعة « وحوش الغابة »
تأليف : د. ريدي يحيى الخواجة

بقلم : محمد غازي التدمري

مقدمـــة :

ثمة ادراك قوي لسر اللعبة الفنية في هذه المجموعة القصصية : « وحوش الغابة » ، وتحطيم واع للحواجز المرتفعة بين القارىء والمبدع ، وفعل انقلابي محرك يمد جسور التوصيل عبر مسافات الواقـع الكائن ليصور المعاناة الجماعية بجرأة وقدرة أهلته لان يكون صوتـا متميزا في القصة القصيرة العربية ، من خـلال أدوات فنية مجتهدة تتعمق احاسيس ومواقف من يقاسمهم الماء والخبز اليومي .

وحوش الغابة والواقع :

القصص تعبير عن حالات المعاناة عند الانســان العادي والمثقف على السواء :

(الانسان العادي – الترك – ثلاثية المبيض ..)
(المثقف : الاشارة يا سيدي رحـال – أوراق الليل والنهار ..) . لم يكن ثمة افتعال ، جاذبية الكلام تجري كنبع رقراق تجري معه ذرة ذرة . لم يكن ثمة انفعال مبالغ فيه ، يدخلنا بصدق ووعي وملاحقة دقيقــة في معاناة الانسان المستغل في مفردات الحياة اليومية وفي الاحلام ، وفي أفق الخلاص . هذه النماذج كانت تعكس او تتحرك في لوحة المعاناة الكلية لجموع القهـر والجوع الجسدي والنفسي والجنسي ، وهي تحـاول القيام مما هو كائن ، ناخر ، نازف يمتص طاقــة الحياة على الاستمرار .

● حالات معاناة البطل :

● ثلاثية المبيض :

في قصة ثلاثية : « المبيض » نلتقي – محمد علي الصوراني – يعكس الواقع المحاصر ، المقهور المتغرب بين هوات الفواصل بين طبقاته التي يبلغ البعد فيمـا بينها احيانا بعد الارض عن السماء ، نبـذته الاوساط الرسمية والطبقات الفوقية بمالها واستغلالها والتـي تحمل عيونا بلاستيكية وهي ترمق ما حولها باستعلاء ، انه زمن المحسوبيات ، وسرقة اعمار وجهود المسحوقين الذين لا يملكون الا قوة سواعدهم الممتصة حتى الموت . لكن هذا الرجل – الواقع ، يغلي بالتفجر ، يبدأ عـد حساباته ، يبحث عن طريق الحلم – التحقق ، يشرع بالمقاومة في مبادرات الفعل الذي ينتهي احيـانـا بالاحباط بسبب اشكالية واقعه ، لكنه لا يؤثر عـلى حالته المعنوية ، يستمر في التصدي والمحاولة مـن جديد . انه يشعر بأنه عبء ثقيل على المجتمع الـذي أوصله الى ما هو عليه ، ثم نبذه ضائقا به مثـل – مرض – . في الوقت ذاته يشعر بأن المجتمع قدصار

كابوسا فوق رأسه ، ايضا عبئا ثقيلا عليه ازاحته ، وقلبه من على رأسه .. في كل حال له ، لا يعرف الزيف وغير قادر على أن يساير حياة مشوهة بدت وهي تطحنه تماما وهو يرد عنه ضغوطاتها : « يتعيرون بي بسروالي الفضفاض هذا .. وبقميصي الخشن هذا . وبرائحة الخبز الذكية المنبعثة من داخل قميصي ... يريدون أن ابطل عادة وضع الخبز هنا .. » . لنقرأ معا هذا المقطع الرائع الذي يبكت أعمق اعماق الانسان الذي استلبت حريته وضاعت منه انسانيته يأبى الا أن يبحث عنها ، ويلتقطها مهما بدت مظاهرها تافهة في أعين من لا يعاني من فقدها ، ها هو ذا يرغب في الحصول على بيت / سقف يبني داخله هذه الحرية الانسانية ، « هناك يمكن لي التفكير بأمور الدنيا المتعبة فلا أكون عالة على أحد .. اضع حذائي حيث أريد .. اغتسل متى أريد .. ألبس ما اريد .. اسهر .. اصرخ .. أبكي .. أضحك .. آكل لقمتي بحرية ، أحدد حجمها ، ونوعها ، ووقتها وانام .. » . هذه متطلبات اولية من أوليات حقوق هذا المخلوق المكرم !ـ ثمة شعور بالفقدان وعدم الامان راح يستشري في واقعنا ، جمهور كبير في العراء ، تنغرس اقدامه في الوحل ، يحلم بـ « بيت عصي » ثمة قوى وحشية تمنع قيامه واستكانته تحت سقفه ، انها ـ أصلا ـ لا تعترف بـ « وجوده » .. يسمعنا القاص دريد هنا صوت الواقع المضاد والمتصل بصوت انساننا الشعبي الضارب في التاريخ وهو يبحث عن الطمأنينة بعبارات مكثفة ، مرنة ، طرية بشعبيتها ، غنية بايماءاتها الكلية الشاملة. « أتعرفون يا جماعة ما هي الدنيا ؟.. الدنيا : هي أن يكون لك بيت تملكه على أرض صغيرة من أرض الله الواسعة ... وما نفعنا ان مات أحدنا في دنيا ليس له أرض فيها الا بعد موته .. » .

لكن ، هل الواقع مستحيل حتى ينقلب ويتغير ؟ هل ثمة تشاؤم في النظرة ؟ الكاتب من خلال نصوصه القصصية عامة ، ونص الثلاثية خاصة ، لا يبدو ـ متدخلا ـ انه يخلق حالة من التوازن بارعة وهو يقص علينا شيئا تلمسه نظراتنا . بالقوة نفسها التي تلمسه أعماقنا وأحاسيسنا ، نهز رؤوسنا منفعلين بصدق ما يجري ويحكي به ، انه يبدو من خلال الثلاثية عاشقا لارضه ووطنه ، يرى الواقع فيها واشكالاته وهو يحطم بعض البراقع يمزق اقنعته وسدوده يعيد رصف حقيقته امامنا بكل متناقضاته وجزئيات الحياة فيه على لوحته الفنية ، يعود يلعب بالالوان هنا وهناك ، تبرز وتتضح ، لا يريد ان يكون شعاريا ، لا يريد ان يبذر فرحا مجانيا ، فدرب آلام الفقراء ما زال طويلا ، ووحوش الغابة ما زالوا لهم بالمرصاد ، لكن النصر اخيرا سيكون لهؤلاء الفقراء الذين « يبنون من أجل الحياة .. » .. « ستزحم الناس الفقراء الذين يبنون من أجل الحياة ، مخلوقات عجيبة مطورة من الديناصور ، والماموث لا تشبع بطونها ، ولا يرتوي ظمؤها ، تتوالد يوما بعد يوم كالنمل والقمل والبراغيث لتستأثر بالارض جميعا ، وبالمال جميعا ، لها اصوات مرعبة مسموعة في كل مكان .. واذرع نارية حاقدة تصل الى ابعد مكان .. تريع الناس الفقراء وتحول بسحرها ومكرها المال القليل في ايديهم الى تراب .. ثم تنذرهم بأن يسكنوا فورا الاشجار والمجاري ... لكن بني البشر الذين يبنون من اجل الحياة للجميع ، يتحملون المزيد من الظلم والتضحية قبل ان تكون الغلبة لهم .. » .

أليس هذا الواقع الذي فجره الكاتب بتلك الاستعارات والمجازات والاسقاطات السابق هو قسمتنا اليوم بشكل من الاشكال ؟.

ان صوت المجموعة ، ككل ، هو صوت الانسان في قيامه من الالم ، وشموخه الذي اختزنته حركة التاريخ فلا يبلى ولا يصدأ ، انه صوت البحث عن الجميل وكل مظاهر الوجود التي تشكل ابعاد هذه الانسانية . لاعود الى القصة المتميزة الثلاثية : المبيض، حيث نجد محمد علي الصوراني لا يفتقد « البيت » فقط الذي يستأثر به من يطلبون الحياة لانفسهم فقط، بل يفتقد « المرأة » بكل عطاءاتها الانسانية ، ومنها الجنسية ، كانت أمنية لم تتحقق بهذا المجتمع الظالم الذي اعلن عليه الحرب منذ البداية فاحتمله حتى تفجر في وجهه مرة واحدة يريد ان يرد له الحساب كاملا .. « والله يا عمي ! اشتهيت لو أبيت مرة واحدة في سرير مع امرأة .. ليلة واحدة تختلط فيها انفاسي مع أنفاس امرأة حتى الصباح .. من اين له ان يحصل على المرأة التي يحب ويشتهي بعد ان احتكرها السلاطين ونجار اليوم المتنامين والاغنياء في دور الحريم والدعارة: « ان الملوك والسلاطين وذوي المال ينكحون يا عمي مائة انثى وانا أرغب في واحدة فقط » .. من منا يستطيع ان يعيش بدون امرأة تعينه ان يرى الحياة جميلة ، تمنحه الدفء والحنان ، تخبئه في ظلالها حين لا يجد مرفأ في هذا الزمن القائظ ..

ان الحماس الذي كتبت به هذه المجموعة القصصية، واللغة ذات الاشارات المتعددة المتفجرة في مستويات عدة ، والتقنية الذكية ذات الالوان البارعة ، والحس الانساني المغلغل في السياقات اللغوية مثل ماء عذب تسمعه تحت التربة ، فتتلمسها ، تحفر بيديك وأعصابك وتدل عليه بعقلك مدفوعا بعطش الى الصفاء والتطهر ، ومشاركا في صنع قنوات يرتوي بها كل الناس ـ كل هذا يجعل منها اضافة حقيقية للتجربة القصصية العربية .

● ماسحات الزجاج :

« أنا بحاجة اليك ايتها الانثى . خبئيني في ظلالك في عباب اثوابك .. اقتنصي معي الافراح . لننس تعب الايام والغايات المفاجئة في خوف الظلام .. » الجنس في « ماسحات الزجاج » موظف من اجل التعويض عن حرمان جسدي ونفسي معا ، تبدو الحالة النفسية في غربتها وانسحاقها وفقدان الامل فيها والهوة السحيقة بين معطيات واقعه وصبواتها ـ تبدو هذه الحالة طاغية في هذا (الحرمان) ـ : « ايتها الشقية لم يبق لنا الا أن نتداغم في هذه الظلمة » « ان ندفىء اعماقنا بالاتحاد » . بل اننا كلما تلمسنا تأجج ما يشبه الشبق الجنسي لديه ، ومحاولته احتضان المرأة التي اختارته بدافع طاغ قوي ظهرت لنا مسوغاته في لا وعي كل منهما ، يأخذ مستويات في غاية التعقيد والتشابك ، حيث وجدت فيه شيئا ما تبحث عنه : « لماذا اخترتني؟ أي زمزمة شوق ضجت في صدرك وانت تومئين لي لافسح لك مكانا بين الامكنة الفارغة .. » .

انها ـ الانثى ـ تعاني الغربة ذاتها ، تنتمي الى آلام طبقته ذاتها (تبدي ذلك في ملامحها وعملها ، وعواطفها غير المتخفية تجاه المسحوقين في المرآب الذي انطلقت منه السيارة) .. : « مشوهون ومنسيون ومشردون احتلوا زواياهم في الممر الطويل الخرب . هذا مس شيئا ما شقيا في اعماقنا .. » .

كما ان هذا الاختيار من قبلها : ـ رجلها ـ مدفوعة برغبات مختلفة واشواق مهجوس بها ، تجلى بسرعة في اندماجها معه في حديث طويل كانت لا تخفي خلاله استساغتها له ولرفقته بتمنع الانثى ودلالها : .. « ظللت طول الوقت تشعرين بي . لم تخف على حقيقتك البدوية الصافية في الظلام داخل اللباس العصري المشترى بمعاناة الالم والجوع والايام المجدبة .. » .

ثمة شيء ضائع فيهما معا . شيء متبق في داخلهما عميق وحار وشاب لا يريد ان يستسلم . يبحث عن الفرح في قلب الكآبة ، وعن النور في قلب الظلام الكاسر في الحافلة ، وعن اقتناص لحظة اللقاء في ساعات الزمن الكابوسي في مدن الاشباح والاسمنت والشوارع التي لا تهب الامن ـ تظل الحافلة (موضع استثنائي) في هذا الزمن . حالة ضاغطة ومنفتحة على البشر هؤلاء الذين يهرب بعضهم من بعض ـ خارجهم . انهم دائمو الانشغال يلتقون على الرغم منهم ، اسرى الحاجة . وخلال الساعات او اللحظات التي يقضونها مقسورين في الحافلة يعيدون اكتشاف انفسهم . لكأنهم يوقفون الزمن داخل هذه الحافلة ، في حين تتلألأ توهجات اعماقهم الانسانية ، ويبدون بشكل او بآخر على حقيقتهم باحتكاكهم المباشر او بتملي بعضهم بعضا عن قرب ، وتكريس الشعور الجمعي فيهم ، في انهم يعانون سائرين الى مصير واحد في تلك الحافلة التي تحتوي طبقتهم وهي تمتلك مصيرهم المجهول مغذة السير على اسفلت الحياة والموت اسفلت متلاصق متداغم .

ان قدرة الكاتب هنا ، تتجلى في تلك الازدواجيات التي تتعلق بفقدانه الحب والجنس من جهة وقسوة الوحدة والغربة من جهة اخرى . انه يطلب الحياة بمعنى ما من خلال ـ الانثى ـ في حين يبدو له كل شيء أشبه بحلم ، بكابوس ، بقطار يفلت منه افلاتا لعله ابدي . فالانثى على الرغم من وجودها بجانبه على الرغم من حقيقة مشاعرها من خلال انعكاساتها عليه ، على الرغم من رغبة جامحة حقيقية يحس بها تجاهها ، الا انه يحس بأعماقه تلك التي عودته ان يفقد كل شيء ، ولا يستطيع ان يملك شيئا او يصنع ادنى سعادة في بحر شقي ـ يحس بأنها وهم (يطلب عنوانها ، يؤكد على زيارتها ، يتحسس جسدها) ، انها رمز لاية انثى تخصب له الحياة ، هي دليله على جوع نفسي وجسدي وانساني . ان الخطاب كان مغلفا بتداعيات كثيرة فجرت الرغبة عنده في قبر الهموم والاحزان واشكالات الواقع في هذا الجسد الحار اللائب مثله ، لذلك كانت لديه رغبة جامحة في عقد اتفاق لاتحاد جسدي ونفسي ، وان ترضى بدفع قبلة له عربونا يهبه (التعلة) والتفكير جديا على أرض حقيقية بعلاقة انسانية ونيدة معها .. علاقة تدخلهما

معركة الزمن قويين : « اود ان أتحد بك ، بأيامك ، ستكونين لي أيتها الشقية الوحيدة » وايضا : «خبئيني في ظلالك ، في أعباب اثوابك ، اقتنصي معي الافراح ».

كان يأمل ان يتحقق توحدهما خارج الحافلة ، لانه توحد حقيقي صادق انساني ، ليس وليد المصادفة التي حطت به في هذا الوضع ، وانتقاله بعد ذلك الى الاختيار داخل تلك المصادفة / الوضع ..

لكن الانثى لا تعطيه العربون ، ثمة شيء لايستطيع ادراكه فيها : « اعتقدت انني اسعدك ايها الشقية . متشردان يمسك بعضهما بأيدي بعض يتحاوران بالشفتين ويهزمان التبريح ، والا اغرقتنا الظلمة كالآخرين عميقا الى وادي النوم او احلام الموت وبرودة الوحدة والانتظار . انتظرنا طويلا . من يدري اين يجرنا قبطاننا العتيد في هاتيك الساعات الباكية . ايتها الانثى وحدك معي تدخلين ساعات العمر » .. .. «قبلة واحدة ايتها الشقية من هذا الخد المتلظي في الظلام : زاد الطريق !. متشردة انت مثلي » .

وهكذا يعود الى « آنيته » ليعيش لحظته . يقتنصها لانها خروج ايضا ، ولو لفترة ، من مأزقه الداخلي ، تحت دافع الشعور باللا أمل والتشتت والانشغالات التي لا تنتهي بحياة فرضت على الانسان العربي هنا وهناك فرضا لا انسانيا حتى فقد ابتسامته ، غدا كدود الارض الذي لا يعرف متى تدهسه وتفتك به وحوش الغابة لا تبالي به بعد ان تعفنت أو ازدادت ضمائرهم .. « رجال زاحفون بجلابيبهم من القرى بدافع من القهر والحاجة والصراع الاداري نحو غايات معلقة في العاصمة » .. راح يفكر بهذه الطريقة : « ان ننسى وحدتنا مع الموت لحظات » « عليك ألا تعلمي شيئا غير هذه اللحظة » .

وهكذا في آخر القصة التي تبدو كما في اغلب القصص بداية جديدة يتوقعها كل قارىء على حدة في المجهول من خلال معطيات تفصيلاتها ، نجد ضياع الانثى وغيابها داخل الضباب وممرات الدار البيضاء الواسعة والضيقة ، فتبدو في نظره كحلى ، كشيء غير مصدق حدوثه او ينتظر الشروع في حدوث فيه ، وهو معلق على درجة الحافلة في بابها الامامي ، وهو جالس ايضا على كرسيه الغارق في الظلمة مبتعدا عن حدود المدينة ، يراقب ماسحات الزجاج وهي تمسح كل شيء عن الزجاج كأن شيئا لم يكن ، وتتهيأ لاستقبال أوشاب جديدة بفعل المطر والريح والطين وهي تقوم بدورها في الترميز والايحاء وفساحة المعنى . لكأن سطح الزجاج هو سطح الحياة ، ولكأن ماسحات الزجاج حركتها في اقبال وادبار بين الامل واليأس بين الانتظار والضجر تمسح شيئا وتستقبل شيئا (ثمة امور كثيرة يمكن شرحها هنا) .

● الثورة على الواقع :

ان مجموعة : « وحوش الغابة » تستعمل لغة شمولية الدلالة وهي تقتحم أعمق الاحاسيس الانسانية حين تستيقظ للرفض والثورة على المستغلين ، وتتحول الى « عصيان داخلي » يدفع لفعل اي شيء من الممكن ان ينقذ الواقع ويغيره نحو الافضل والاكرم .

ويعمد الكاتب على تحريض هذا الشعور وتوجيهه لدى كل المغلوبين والمسحوقين وهم يشهدون دخائل الزمن العربي الجديد « وظل عصيان ما داخلي يحاصرني يدفعني ان افعل شيئا ، أن يفعل الآخرون امثالي شيئا ونحن نشهد دخائل هذا الزمن العربي الجديد من النهب على حساب الفقراء المحطمين باسم آلاف النوايا البيضاء ، ومن عسف قوى الظلام التي تحملها بأيديها الف اضمامة زهر تخبىء الموت في احشائها ، ومن مكابدات الاغلبية الصامتة على طريق الحياة اليومية .. ومن التزوير والتساهل غير المشروع باسم وغير اسم .. الزمن العربي الجديد الذي تحاول فيه مخلوقات الحقد القديم ـ على ساحة الوطن ـ ان توجه حربة مكيفة ضد ترسانات من يقدرون على حمل هموم الانسان العربي » .. هذا صوت جريء يضرم النار في رماد اعماق المقهورين ، النار التي تشب الى مستوى نيران الحقد في اعماق الاقلية الناهبة .

ثمة صدى اجابات رافضة ، هي ان اختلفت في السياق القصصي ، فقد توحدت في الغايات فجاءت ردودا على مستويات عدة على المعاناة ، وتعبيرا صادقا عن الرغبة في نقاء الحياة من الظلم والاستغلال . واتخاذ مواقف حاسمة ضد الوحوش البشرية بأنواعها .

هذه المواقف تفجرت من خلال موثبات وتفصيلات وقائعية في لحظة تداخل فيها الماضي بالحاضر لصنع المستقبل تحت الشمس .

في بعض القصص كان يتخذ فعل الثورة / الرفض صورة جماعية تجسد انصباب حركة الناس المسحوقين

في موقف موحد يساهم في رفع الاستغلال والنضال ضده : « لم يفكروا بمسيرة الحافلة تلك ، حتى عندما تدخلوا ليختاروا موقعهم في الخلاف الذي لدغهم ، على الرغم من بساطته ، وحياده اول الامر ، فجر بشبابه مدمراتهم ، عرفوا انهم يبحثون ، حقيقة عن مواقع تجسيدي ما . موقعهم الآن ، هو الاتحاد لكسب رهان التحدي لاي ثمن . وحوش الغابة » .

في قصة « ممنوع التنخيم » يخاطب احد الركاب السائق / صاحب الحافلة ذلك المغتصب لحقوقهم المحتمي وراء قانون مصالحه ومصالح طبقته الغاشمة : « انتم تهذرون بالقانون ما دام يناسب مصلحتكم وبعد ذلك فليحترق العالم . هل تعرف القانون حين تحول الحافلة الى علبة سردين ، أو نكشف عن برمنا وخوفنا من تعرض الحافلة للخطر ! » .

هل هناك تفاؤل بانتصار ثورة المسحوقين ؟

هناك حلول مختلفة على مستويات عدة لجأ اليها الكاتب من خلال ابطاله ومعطيات واقعهم ، ليست متسربة ، بل فنية ، بل تأتي هينة يلتقطها القارىء بشغف بعد ان دخل الفعل في صنعها ، « فعله متحدامع فعل شخوص القصص » . ففي قصة « وحوش الغابة » ينطلق الامل بعد تجربة الركاب في ايحاءات حسية منظورة ترتسم على الافق بشاعرية ثورية عذبة :

« ذا نسيج ضوئي داخل عتمة الافق المقفل تموضع بشكل يثير ادراكا حسيا بالصفاء والامل وهو ينعكس بارقا يمسح الجباه داخل الحافلة .. التي كانت الزعقات فيها تعمل عملها في التوصل وتحريك الكوامن باحساس مصير واحد .. وانسلاخ واحد .. واهياوين .. واهياوين .. » .

اشارات عن التقنية القصصية :

ان اللعبة الفنية في القصص على غاية من الصعوبة والخطورة ، ثمة في هذه المجموعة استيعاب واع لاصول الكتابة في القصة القصيرة ، ومحاولة للتحديث والاجتهاد بوتيرة عالية من الحساسية الفنية .

انني اعتقد ان التحليل السيكولوجي من أهم ما يميز الادب الحديث بكل أنواعه ، وبخاصة في القصة القصيرة حيث يكون وسيلة مهمة وناحية لرصد حركة النفس والحياة من الداخل والخارج ، وتسير بالتالي تصوير ادق العواطف وملامسة اعمق التصورات وملاحقة ضرورات الافعال وردودها .

في المجموعة استشفافات باطنية على غاية من دقة الملاحظة ، واذا كان أحد الروائيين الكبار واعتقد انه - مينودور دستويفسكي - قد نصح من يريد ان يكتب أدبا جيدا بقولته « لاحظ ولاحظ ولاحظ » ، فاني اعتقد بأن القاص دريد كان ملاحظا جيدا في هذه المجموعة وهو يقدم شرائح متحدة تخلق عالما له غاية محددة من قبل الكاتب في خلقه على تلك الطريقة او تلك دون افتعال أو تكلف .

فالحدث يتنامى في مسار الواقع الذي يشكله القاص في دقة وانتقاء متجها نحو الجوهر في التركيب - من خلال معايشة ذاتية معينة في حالة التباس او اشكال مع الواقع ، يبدأ القاص في تعميقها في مستويات عدة وداخلا كل استعصاءاتها واثقالها نتيجة لظروف مختلفة في البيئة والمحيط بالاستغلال والحصار المتداخل ، في الوقت الذي يعمل التحليل بطريقة ايحائية على ازاحة ركامات الاتربة والصدأ عن كل الاشياء ودفقات الحياة في الافكار والمواقف وهي تتوق بصدق لملامسة النور والعيش تحت الشمس ، لكن دون تدخل او قسر ، بل يبدو ان كل شيء يسير في مجراه تماما ، مثل ذاخر تلاحقه في حب وتلهف يصيبك رذاذه ، وترتمي في مياهه ، وتلاحق نهاياته عبر دغل التضاريس ومحاوراتها وهي لشكل ما هو منظور وغير منظور .

لنقرأ أيضا هذا المقطع الذي يصور فيه الكاتب حركة النفس والحياة من الداخل والخارج - الثلاثية :

ساح نظره في الاكوام البشرية حوله .. في أوراق بيضاء مترية تطير من على سطوح الطاولات القديمة في الفراغ .. في الاقلام الشاكية المتابعة في دهاليز الحياة . تلبست بأنفه ريح حمص الرطبة على الرغم من شدة الحرارة . راقب حركة قدمين حاذرتا فجأة دوس رجليه .. تعود اذا ما أحس بالضيق الشديد ، ان يأتي الى هنا .. هذه المدة . يشعر بالارتياح والامل والمشاركة حين يتمكن قرب كتاب العرائض . يشعر بأن ثمة

عرائض يتقدم بالنيابة عنه ايضا . او ان يخرج الى ظل شجرة على نهر العاصي ، يرقب جريان مائه وهـو يحلم ... » .

انه يستطيع بعبارات قصيرة ، مكثفة ، ان يضع امام عينيك حالة الموقف كاملا وأنت تتابع استنتاجا معينا . في قصة : « ممنوع التخنيم » بعد أن يستطيع جميع الركاب ارغام السائق صاحب الحافلة على السير والشروع في السفر الى الدار البيضاء وهم يصيحون ويصفرون : « رافق ذلك دبكات النعال . شغل صاحب الحافلة كل شيء باحتقارهم ورغم ، وهو يلمح ألسنة المقاعد الثلاثة تمتد بتشف خلال المرآة العاكسة » .

في قصة أوراق الليل والنهار ، هذا الخطاب المعبر الموحي برغبة الزوجة في ملامسة شعاعات الشمس في « نزهة » : « فيك يا منهل اليوم ، رائحة الضوء .. والهواء .. وزحمة الشوارع .. وهذه رائحة تبغ أيضا .. كم أحبها من فمك ! » .

وفي قصة « ماسحات الزجاج » نجد بطل القصة يصف نفسه وهو يحاول ربط خيط ــ وصالها ــ : « كدت أبدأ بـ « لماذا » وبـ « كيف » . لكنني تواصيت بالصبر ، وبلعت ريقي ، بلعت الحصاة ، سبحت الى الامل المتبقي » .

ثمة استيحاء ايضا لامكانيات في وصف الطبيعة التي تبدو مدغمة تماما داخل السياق القصصي في مستوياته المتعددة وفي تعبئة اضافية لتصوير اطواء النفس ، لكأن الافكار تجد مجالها في ان تحيا في تلك الطبيعة الطلقة والتي تبدأ تلك الافكار في (صرهـا) وطبعها بمظاهر ما يجري في دواخلنا واحداثنا ووجودنا: كما يبدو ذلك (الوصف للطبيعة) محاولة ذكية من القاص لتنويع التعبير ،ووسيطا لحمل المعنى :

لنقرا هذا الوصف للطبيعة وهو يعكس بدقة ايقاع النفس البشرية حين تتأرجح النفس بين ضغط الاحباط والفقدان وبين حركة الامل الخارجة من السواد والركود والجفاف ، حتى لكأننا نسمع نظم هذا الايقاع وصداه ونحس تأسره ونتلمس فراوة الاعماق وهي تغتسل بالماء والنور :

« بدا لي كل شيء سأنظفه صعبا ، دقيقا ، مقامرا الاشياء خارج النافذة غمامية تعبىء دقائق الاضواء ، منحنية بخطوط تشكيلية معذبة . وكان صوت ماسحات الزجاج داخل الاطار الحديد ي المستطيل حيث تتشحط بالماء الثقيل ، له وضع مؤثر مفجع ، على ما آل اليه الحال بيننا . غير ان ماسحات الزجاج ظلت تنظف قطرات الماء القديمة الموحلة ، والزجاج يستقبل أخرى ندية .. وفي قلب الظلمة السحيقة المتصلة بالافق الملوب الوجه ، برقت قبسات نور غريب .. » ..

في (الاشارة يا سيدي رحال) حيث اعتبرها (مشغلا لغويا) يصنع جدة قرائن اللغة ودلالاتها ليس من اجل (الجزالة) المعهودة في الكتابة القديمة بل من اجل أن تكون اللغة مسبارا نفسيا وانسانيا ، ومستودعا لرؤية كلية لا تخلو اصواتها من الشعر والموسيقى حتى وانت تقرؤها بصمت بين خفوت وقوة بين نقلة الى اليقظة وبين نقلة الى الحلم في تداخل لا تستطيع الا اللغة وحدها في تحقيقه ــ في هذه القصة نجد مثل هذا التوظيف لوصف الطبيعة ، وبخاصة ــ الالوان ــ :

« بدت لي الاضواء المنعكسة على زجاج القبة الملونة ملتاعة ، خائفة . صحن المسجد منكسر من الظلمة منبوط .. ابتاعه مرعب . كانت صرخة أنثوية حادة مستغيثة انبثقت مع الضوء الاصفر المتداعي من الحرم .. »

اللون الاصفر هنا رمز الموت والرعب والالم والمجهول المخيف المتوقع ، كما أنه انبثاق اليقظة والخروج من ذهول منعزل محموم غمامي .

في مكان آخر من القصة ايضا : « كان بامكاني ان أرى مسجد سيدي رحال يحضنه الوادي المشجر الداكن الاعماق .. اوشج عيوني المتعة في نور مئذنته الاخضر المتلألىء كلما خرجت مرة املأ رئتي من هواء الليل الرطب .. » .

لاحظ هنا « الوادي المشجر الداكن الاعماق » « فالوادي » يعكس فيه دلالات الابعاد السحيقة لتجربة « زروال » وتأملاته المتجهة الى باطن الاشياء حيث يحتضن عمق الوادي ضريح سيدي رحال لجلاله وقوته وسره وتأثيره وهيمنته كفكرة بهية لا يتم اكتشافها مرة

واحدة . و « دكونة الاعماق » تعلق هذه الفكرة في الظلام – ظلام الحياة وتعثر الاقدام فيه .

كما أن هذا اللون الداكن يدفع الى البحث والفهم وجلو العذاب / عذاب غموض الحقيقة وخفائها ، ثم يأتي دور اللون الاخضر في بث الامل في النفس وامكانية تحقيق الرغبة في وصال الحياة داخل عذابها الخشن . ويبدو هذا اللون الاخضر أشد تأثيرا وشمولية حين يبدو نائرا على مئذنة عالية تشع في كل الجهات فلا تنير تخبطاته هو فقط .

ثم لنلاحظ هذه (الرطوبة) من (الليل) التي تملأ النفس حياة وانتعاشا بعد انحباسات النفس داخل المعنى والتجربة الانسانية الشقية .

كما أن رمز (الليل) على الرغم من قساوة تأثيره على النفس في البداية ، الا انه يومىء ب « الصباح » باحساس داخلي عندنا على الرغم من صبرنا الطويل بانتظاره .

في قصة « وحوش الغابة » ايضا هذا الوصف للطبيعة :

« النباتات تكز في المدى على اسنانها متصلبة . والاشجار مفقودة يمكن ان تبحث عنها العين في البعيد» وصورة النباتات تعكس صورة الركاب في الحافلة . والاشجار المفقودة هي الامل المفقود في حل مشكلة الشاب الذي لم يقطع تذكرة الركوب والذي توقفت الحافلة بسببه .

كما تم توظيف « الطبيعة » بشكل مثير في بعض القفلات القصصية في المجموعة . ففي قصة « ماسحات الزجاج » ترد القفلة في مستويات دلالية متعددة تحملها مواد الطبيعة ورموزها وهي ترتبط بشبكة الحوارات السابقة والتحليلات وتخدم المنطق الشمولي في الحياة والانسان والاشياء :

« المدينة تناءت تنائيا داميا والظلمة سجنت كل شيء .. بدأ المطر يتساقط موحلا بقسوة على الزجاج . والقبطان يكافح في همة الانسان الذي ثابر ابدا على الحياة .. وماسحات الزجاج تلعب دورها أيضا » .

ايضا في قصة : « وحوش الغابة » نقرأ القفلة التالية :

« ذا نسيج ضوئي داخل عتمة الافق المقفل تموضع بشكل يثير ادراكا حسيا بالصفاء والامل وهو ينعكس بارقا يمسح المجباه داخل الحافلة .. » .

لاحظ كلمة (النسيج) التي تعني الاتحاد والتلاحم والانسجام والتآلف من مجموعة منوط وصفة : « ضوئي » توحي بالامل واشراق الوعي ورحلة انتزاع الحقوق وحين جاءت هذه « الصفة الضوئية » داخل « عتمة الافق » أوحت بالعبور وفتح منافذ في طريق الثورة الذي بدا لوهلة ، أو في مكان او آخر ، مستحيلا ثم جاءت كلمة (تموضع) لتعني حيوية واستمرارية وتكاثف الاتجاهات والمحاولات الرافضة والى أن تحويل التمردات الى ثورة حقيقية لا بد أن يصل الى القمة ، كما أن الاحساس بالصفاء من رؤية هذا النسيج الضوئي بالصورة المشروحة السابقة كان مؤشرا على تحقيق الانقلاب ، والانسلاخ ويدفع الى أوضاع انسانية تزيد صفاء النفوس والامل بالمستقبل .

في قصة : « الاثر » ثمة استثمار مهم واساسي للطبيعة يمكن أن نعتبره نموذجا متفردا ومتكاملا يحتاج الى دراسة منفردة .

● القاص والموقف الطبقي :

يمكن أن اشير هنا الى « الموقف الطبقي » الذي تبناه القاص دريد وكرسه في بعض قفلات قصصه بذكاء ودون افتعال وذلك بأن مهد مقتضيات الحدث تمهيدا يقبل اخصاب وتعميق ومنطقة الموقف الطبقي المتمركز في النص كقضية اساسية .

ففي قصة : « ممنوع التخنيم » مثلا ، نجد أن المعاون يقف موقفا معاديا – في الظاهر – ضد مصلحة الركاب المستغلين الفقراء المحكومين بقانون السائق صاحب الحافلة المستبد وبمزاجة هذا المعاون واقع تحت وطأة التحكم والهيمنة ذاتها التي يعيش الركاب المنتظرون في الحافلة بعضا من ظواهرها ، انه – أي المعاون – ضحية علاقات معقدة ظالمة في مجتمع محصورة مصلحته في طرف واحد لا يتفق الا على استغلال امثاله . لذلك نجد أن المطامع حين اجبروا السائق على تشغيل المحرك والغصة تملأ حلقه من فراغ بعض المقاعد ثم لمح بعد قليل شبحا في الظلام اعتقده راكبا ينتظر ليملأ

أحد هذه المقاعد ، فوجيء بالمعاون المرتجف من البرد . فالمعاون هنا في تلك القفلة لم ينقذ طمع السائق ولم يعضد تشفيه كما جرت نهاية الحدث ، وفي مستوى آخر صاعد فهو ليس من طبقته حتى يكون مؤهلا لهذا الامر وقد بدا ذلك بوضوح من تلك الصورة التي رسمها الكاتب للمعاون وهو يندغم في المشهد الاخير للقصة حيث يجد مكانه المناسب بين طبقته :

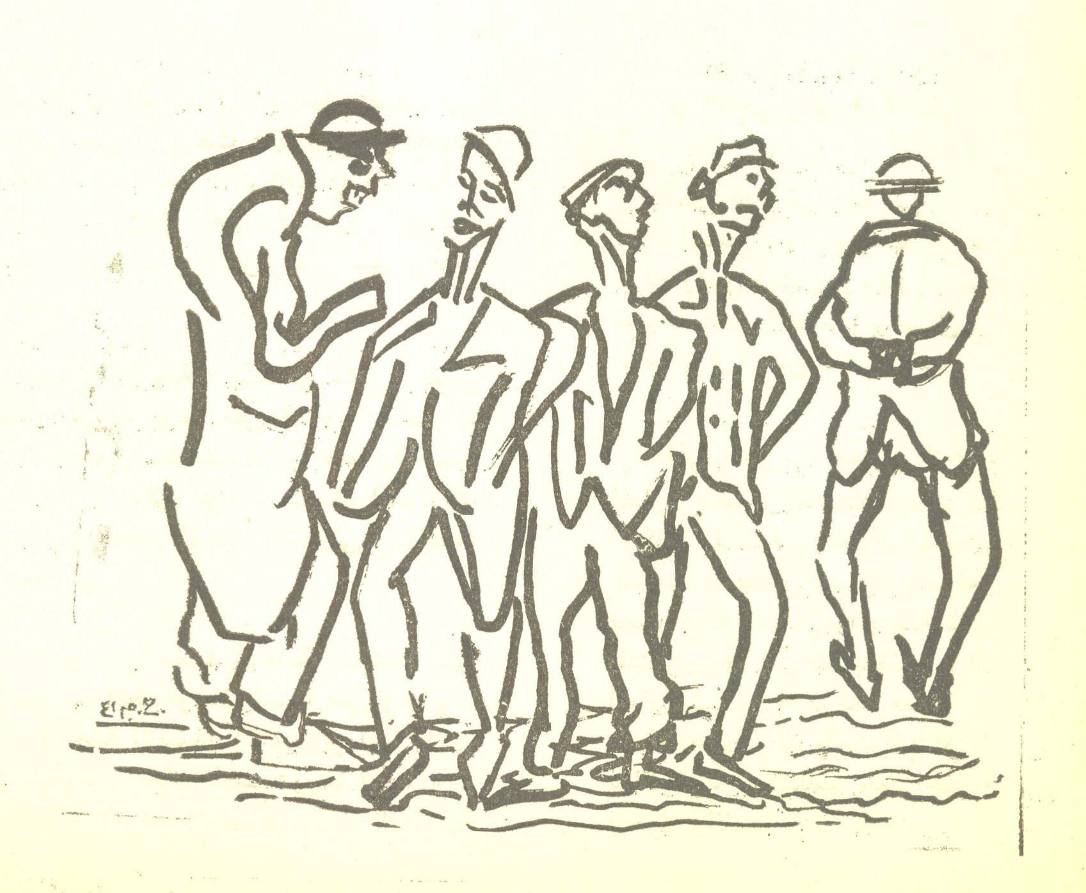
« ولم يكمل عبارته - اي السائق - غص . تنحنح . خرس . ثم لعن وهو يفتح الباب الامامي حيث اطل منه الراكب المبلول المرتجف ، الذي لم يكن الا المعاون المسكين الذي لم يجد بدا من مشاركة الركاب قهقهاتهم ، وجو المرح الغامر المفاجيء .. ثم قادته اطرافه المرتعدة الى بطن الحافلة ، ليشعر بدفء الحياة بينهم ! » .

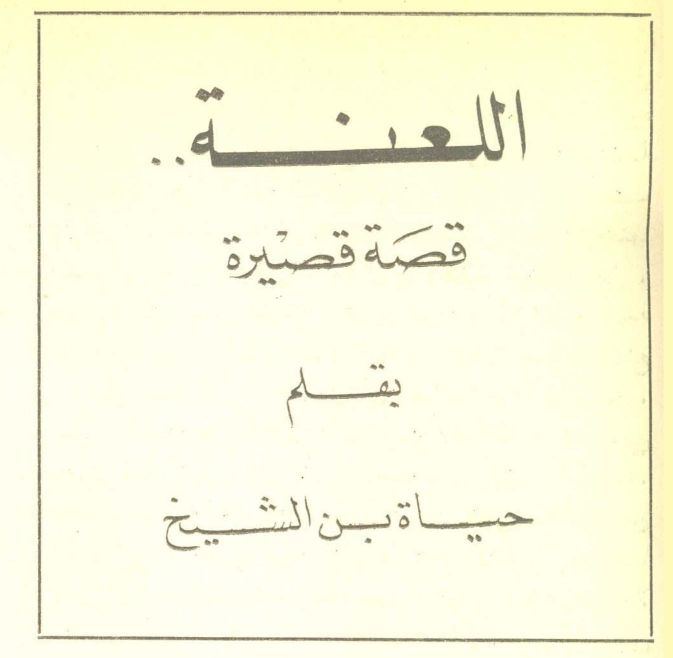
● **خاتمة :**

ان مثل تلك المجموعة القصصية « وحوش الغابة » التي تكشف العلائق الوحشية المتواجدة في واقعنا بحذق وجرأة ووعي وغضب بمعناه الحماسي والالتزامي والتي تمتلك أدواتها الفنية في ذكاء ورهافة تسعى الى مواقع متقدمة في مجال التقنية القصصية دون ان تنقطع عن الجذور وقد تمازجت في تلك الادوات شخصية الفنان والناقد معا حين تصب بقوة في اعتناقه الطبقي وانتمائه الى الدور الذي يقوم به المتصدون لاعداء الانسان ، وفي دخولها بشفافية وحب وصدق وعمق في حنايا حياة المنسيين والبسطاء والكادحين والمتوحدين - ان مثل هذه (المجموعة) تشكل كسبا واملا وتحريضا وتثويرا للاغلبية التي تصنع الحياة والمستقبل للبشر في الوتيرة العالية ذاتها التي تندفع بها لتلقي « الرعب » في القوى الشرسة التي لن تركن للاستسلام بسهولة .

كما انني اتمنى لهذه التجربة مع الروائي المغربي - محمد زفزاف - بكل اخلاص في ان تتكرر .

● **محمد غازي التدمري**





ظامىء .. ظامىء .. ظامىء .. كل يصرخ شاكيا متذمرا . الاطفال يبكون جوعا وعطشا . النساء يولولن يأسا ولوعة ، والرجال يمزقون شعورهم غيظا وحنقا بينما البنات يندبن حرمانهن وحيرتهن .

المخابز تهدمت . أكلتها النيران فغدت وكرا للافاعي النهمة والابالسة العطشة للدماء . الانهار تعفنت ، اصبحت مسبحا للتماسيح البشعة ترتع فيها بكل كبرياء .

العطش يستبد بالجميع ، انما لا أحد يستطيع أن يتقدم نحو النهر . لا أحد يقدر ان يخطف قطرة ماء يبلل بها ريقه ويبعد عنه شبح العطش المقيت . التماسيح فاغرة افواهها تبتلع كل من تسول له نفسه التقدم . فلكم ابتلعت من ظامىء مسكين ، وكم غرست أنيابها السامة في جسم متهور احمق .

انها اللعنة . قالوا : لعنة شيطان ماكر .. لعن القرية لشرور رجالها . وقالوا : بل هي نقمة عفريت من الجن غضب على القرية لضلال بناتها . وقالوا : بل سيد القرية رمى النهر بالطلاسم فملأه بالتماسيح لكي يهلك الاهالي عطشا بينما بيته يزخر بالخبز الساخن والماء العذب الزلال المتراقص من نافورة الحديقة الجميلة . ولن يعود الخبز للقرية ، وترحل عنها التماسيح . الا بعد ان ترش النهر بدمه .

جارتنا العجوز تقول : انه يتغذى لبنا وعسلا ويستحم بالماء المعطر . ابنتاه تغتسلان بماء الورد وترتديان الحرير المطروز . ولداه يأكلان الخرفان المشوية ويمتطيان الخيول المطهمة . أما زوجته فهي تغذي قططها سمكا طريا وتسقي ورودها ماء عذبا . ونحن هنا صغارنا الرضع لا يجدون قطرة لبن . اطفالنا يموتون جوعا وعجائزنا يتضرعن عطشا بينما التماسيح تطوق النهر من كل جانب بعد ان أحرقت المخابز وغدت رمادا .

الفقر يدمر الجميع ، والحرمان يأسر كل النفوس ، والعذاب يثقل كل خطوة ولا يعرف كيف يتغلب على التماسيح ويخلص النهر منها ليعود صافيا رقراقا كما كان نرتوي منه ساعة نشاء ، ولا من يدري كيف التخلص من سيد القرية لكي يعود الامن كما كان يسود كل البيوت .

قارئة البخت تقول : ان لعنة كتبت على بلدتنا وانها رأت في أحجار الودع ان عفريتا له تسعة قرون يحوم حول بيوت القرية ليهدمها جميعا ، ويبصق في النهر فيمتلىء بالتماسيح المخيفة تنهش جسم كل من اقترب منها . أما حارس مقبرتنا فيقول : انه رأى ليلا ماردا أسود بثلاث رؤوس وخمس أيد يطوف بأزقة القرية . وكل بيت وضع عليه أحد اصابعه العديدة تهدم وأصبح ركاما ، ثم ألقى بحجر في النهر ففزته التماسيح الكاسرة المكشرة عن أنيابها منتظرة الضحية . وكم . وكم قالوا دون أن ندرك الحقيقة .

منذ سنين لم تترك لنا العواصف شيئا . تهدمت بيوتنا . تقوضت جدراننا واحترقت مخابزنا . لم يبق شيء في قريتنا البائسة الا عبثت به ايدي الرياح وتلهت به العواصف . بقينا سنوات عراة حفاة ، نتوسد انقاض المنازل وننام تحت ضياء القمر في الحفر المملوءة بالجرذان . كانت لنا بيوت . وكانت لنا مراعي . وكنا لا نعطش ولا نجوع . المخابز تزخر بالخبز الساخن ، والانهار تتدفق بالمياه العذبة ننهل منها ما نشاء قبل أن تغزونا التماسيح وتمنع عنا اكسير الحياة .

كان الربيع يعرف طريقنا . والخضرة تعشق حقولنا ، والعصافير تغرد محلقة فوق غدير بيتنا . بيتنا الذي تهدم وسكنت انقاضه الافاعي النهمة

لتتركني شريدة .. طريدة .. ألهث بين منعطفات القرية المتهدمة وأجوب الحقول التي غزاها الجفاف وسكنتها الديدان والهوام ، أبحث عن مأوى ولا أجده. أنشد راحة ولا ألقاها .. ليس امامي سوى حرمان ترزح كتفاي تحت وطأته وعذاب يلازم ظلي أينماحللت.

لقد قالت لي أمي ذات يوم قبل أن تتركني وترحل: ان لعنة تطاردني منذ خلقت . لذا سأظل شقية بائسة أبد الدهر . وقالت لي قارئة البخت في قريتنا : اني سأعيش شريدة ، هائمة تلازمني نقمة على نفسي أينما سرت . واتحدث الى جارتنا العجوز اني سأبقى ظمآى .. جائعة الى ما لا نهاية له يلاحقني الحرمان وتدمي الاشواك قدمي المتعبتين .

نبذني أهل القرية ، كلّ يقول اني سبب اللعنة التي حلت بها . شيوخها يلعنونني ، نساؤها يقذفنني بأقذر الشتائم بينما الاطفال يرمونني بالحجارة ان دخلت القرية علنا أبحث عن مأوى أو لقمة باقية . لكنني لا أجد شيئا الا الوجوه العابسة والنظرات الحاقدة .

بيتنا هدموه . فراشي حرقوه وحطموا « بوذا الغدر » الذي قيل : صنع من وحلْ وماء عكر .

لقد كان في يوم ما يريدني . ولم أكن ظمآي ولا جائعة . كانت الحياة تبتسم لي . والاملُ ينعش



مهجتي . ظننت اني تجاوزت اللعنة القديمة التي تطاردني وتخلصت من النقمة التي تلازمني ، لكن في يوم ما طردني هو الآخر . قذف بي بعيدا كفأر موبوء يخاف من وبائه . ابتعد عني قائلا : اني سبب اللعنة التي حلت به وبالبلدة الوديعة . دموعي حيرت أمنها وثورتي وهياجي أثارا سخط الابالسة عليها فرجمتها بنقمتها . وقال : وقال ، وقال . وهدد بسفك دمي . وجدت نفسي على قارعة الطريق . وحيدة .. شريدة ليس معي سوى أشلاء « بوذا الغدر » الذي قيل : صنع من وحل وماء عكر . أحاول ان ابعث الحياة فيه . لكنني لا أستطيع ، فأبقى ابكي على أشلائه هائمة في الحقول التي غزتها الهوام . ابحث عن مأوى ولا أجده. انشد لحظة راحة ولا ألقاها . أسأل قطرة ماء ولا من يقدمها الي . حتى سيد القرية الذي كان في يوم ما يريدني أراه والكأس مترعة بيده ، يرمي بها أرضا ولا يسقيني جرعة ، هو سبب اللعنة التي حلت بي وبجميع من كان في البلدة التعسة .

مؤذن مسجدنا يقول : لا بد من الهروب بعيدا . بعيدا الى أرض نائية لا تصل اليها نقمة الابالسة ولا يقدر ان يتخطاها غضب سيد القرية . وجارتنا العجوز تقول : اني لا بد ان اقتل السيد المتعالي بيدي وأكحل عيني بدمه لانجو من اللعنة التي تخنق مصيري، وأرش بدمه النهر لتتخلص القرية من التماسيح واستبدادها . وانا لا أعرف ماذا أفعل ، ولا أدري ما تكون نهاية هذه اللعنة المشؤومة .

كل الابواب أغلقت في وجهي وسدت كل الطرق . ملت الحقول خطواتي المتعبة وكلت رجلاي المنعرجات المتربة .. يشردني .. يعذبني .. حبي له يسحقني، والتماسيح ما زالت تنتظرني فاغرة افواهها لتبتلعني، وأنا لا أعرف مصيري ! ليس امامي الا أن القي بجسمي المنهوك في النهر كي تلتهمه التماسيح النهمة علني أرتاح وتنزاح عن كاهل القرية هذه اللعنة التي حلت بها ، وتبتسم لها الابالسة الغاضبة .

● **حياة بن الشيخ**

قراءة في «عيون الليل»

محمد مضر خيطة **

يأتي الشعر في مقدمة الفنون والاجناس الادبية التي تمتلك موقعا متميزا في الوجدان الانساني، برغم تطور أدوات التعبير وابتكار اساليب ووسائل جديدة وشيقة في الاسلوب والاداء ..

ولسنا بصدد الاجابة عن السؤال الذي قد يرد الى الذهن .. ولماذا الشعر .؟ ذلك أن الشعر هو الحياة بزخمها وامتلائها .. بهدوئها وعنفوانها .. فكما أننا لا نعثر على تعبير محدد يصف الماء .. أو الهواء .. كذلك من الصعب أن نعثر على تعبير يصف الشعر تماما .. او يحدد وظيفته .. وعمر الشعر في حياتنا. عمر الصحراء العربية بامتدادها ورحابتها .. غناه الاجداد بعفوية تامة قبل أن يعرفوا الوزن وأنواع البحور .. وما تناهى الينا من تراثهم لا يشكل سوى النذر مما انتجته القرائح وابدعته المخيلة .. ومع تواتر الحياة وانتقالها من البساطة الى التعقيد .. ومن الوحدة الى التعدد .. ومن الانسجام الى التنافر والتناحر .. يسطع دور الشعر في المرحلة الراهنة .. خصوصا الشعر الغنائي الذي يحتفي بالحياة يغنيها ويفتني بها .. يجدد في النفس عهدها بالبساطة ويؤجج فيها العاطفة بعد ما أصابها العصر بالخدر حتى التجمد.

ولقد جهد الكثير من محترفي الادب لاغتيال الشعر العربي العامودي تحت دعاوى مختلفة بعضها عن عمد بهدف التشويش والتشويه .. وبعضها بحسن نية بغرض الظهور كي لا يقال عن اصحابها بأنهم غير تقدميين .. فمرة باسم المعاصرة .. وتارة باسم الحداثة .. واخرى باسم التجديد .. وغيرها باسم تثوير اللغة .. و .. و .. الخ .

لقد سقطت كل هذه الدعاوى الهزيلة .. وانكشفت الاقنعة الماكرة .. وبقي الشعر .

« وأما الزبد فيذهب جفاء .. واما ما ينفع الناس فيمكث في التراب » وما أرومه من محاولتي المتواضعة أن ابحث عن الشعر في مجموعة « عيون الليل » للشاعر السعودي محمود عارف .. وان أتحدث عن شاعرية الشاعر محمود عارف .. وهي المجموعة الاولى من سلسلة تصدر تحت عنوان « السلسلة الشعرية » عن مطابع الروضة في مدينة جدة .. وقد أهداها لي مشكورا الاديب الراقي المبدع عبد العزيز الرفاعي ..

وعلى هذا قد اختلف مع الكثيرين ممن ينظرون الى الشعر على أساس الشكل ويقيمون حكمهم تبعا لهذه النظرة .. ولربما غاب عن ذهنهم أن صوت البلبل لا يعيبه سواء غنى فوق شجرة سرو .. أم كثيب من

الرمل .. وجوهر الشعر لا يتغير سواء كتب بالطريقة الخليلية أم بالاسلوب الحديث ..

أما القضايا التي يمكن أن يطرقهـا الشعر .. والاتجاهات التي يمكن أن ينميها ويطورها .. فهـذه ليست من صفات الشاعرية .. وان كانت من اهتمامات الشعر .. وفي الحياة مجال رحب لكل الاصـوات الشاعرة .. والمخيلات المحلقة .. فلماذا الافتئـات الى حد الغثيان .؟ فلا الشعر الذي تنتجه قرائـح أنصار الحديث .. كله حديث .. ولا الشعـر الذي يكتب بالطريقة الخليلية كله قديم .. ولهذا السبب ما نزال نقرأ وباعجاب بالغ قصائد / لقيس .. والمتنبي وعمر ابي ريشة .. والسياب .. ومحمود درويش .. ونزار قباني .. / هؤلاء الموهوبين « وعلى سبيـل المثال لا الحصر » كتبوا الشعر بحب واقتـدار ولم يكلفوا أنفسهم عناء السؤال كيف يكتبـون الشعر .. بل اكتفوا بأن يكون الشعر هو الهاجس .. والصوت الاعلى دائما .. وقد لا يضير الشعر أو الشاعر ضيق الشهرة أو اتساعها .. داخل الحدود الاقليميـة أم خارجها وعلى امتداد الوطن العربي .. وهذا لا يؤثـر بالتالي على حسن تقبلنا واستجابتنا .. قراء .. أم نقادا .. أم دارسين .. فالصدق وحرارة الاسلوب . والطاقة اللا محدودة على المحبة في المشاركة والعطاء . جواز المرور الى الحياة والتجدد .. وقد ستمـدت هذه المجموعة الشعرية طاقتها من المخزون العاطفي الثر .. ابتداء من عنوانها وحتى آخر سطر وقصيدة . من قصيدة بعنوان / واحتي الصحراء / .. يقـول الشاعر محمود عارف :

لقـد تعـود قلبي في سوانحـه
أن يلهم الفن مـن أوتار عزاف

هذا البيت بسطوعه وملاحته يلغي المسافة الشاسعة الممتدة بيننا وبين الشاعر .. تماما كما لو أننا التقينـا في ندوة طيبة نسأله لماذا .؟ ومتى تكتب الشعر .؟

ويجيب .. الشعر لدي موهبة وأصالة .. وليس حرفة للتكسب .. وأكتب الشعر بدواعي الالهام .. لا ليقال عني شاعر .. اعيش الحياة .. ولا أنسـى نفسي وتطلعي واحساسي الخاص .. والفن اصلا ابداع فردي .. والشعر كمنتوج ابداعي هو ذلك الذي ينبع من الذات الكامنة في عمق الفرد المبدع .. وعندما يرى الآخرون صورهم أو بعضا من صورهم في هذه القصيدة أو تلك فهذا يعني صدق التجربة ونباهة الرؤيا .. وصحة التمثل .. واذا ما استعرضنـا كل الاسمـاء المعروفة وغير المعروفة .. وحتى تلك الاسماء الشاعرة التي سوف تولد .. فلن نقع على الشاعر الذي يرى هموم كل الناس .. ويتقرى احاسيس كل الناس .. لعلنا من هذه الصراحة الحارة نتمكن من محـاورة القصائد الاربع والعشرين .. ومن محاورة الشعـر الفنائي في صوت شاعرنا محمود عارف .. وشاعرنـا كما يلحظ القارىء المنصف خصب العاطفة .. عفيف البوح .. مفتون بالجمال / انثى .. الطبيعة / الـى أبعد الحدود .

والمرأة في نظر الانسان الشرقي قيمـة غاليـة .. وجوهرة يحرص عليها ويخاف عليها .. وشاعرنـا شرقي الطبع .. عربي القيم .. وعاشـق .. أحب المرأة .. ناجاها في ساعات صفوه .. وبحث عنها .

ولقد جعل من بحثه وحبه قضية .. فهل وجـد المرأة التي تستحق حبه وتكسب احترامه .؟ أهـي واحدة بعينها .؟ أم هي واحدة في كل .. أهي كائنـة أم متخيلة ؟. أهي حاضرة يراها .. امبعيدة يناجيها ؟ يقول الشاعر محمود ..

يا ملتقى الافـراح .. يا حلم الهوى
القـاك بالنجوى مـع الاسحـار

عينـاك دنيـا مـن نعيم سابـغ
وشى ربيـع العمـر بالنـوار

وبرغم حب شاعرنا لانثاه وشغفه بها .. يرفض ان تسيىء فهمه .. يرفض أن تكون ساذجة محدودة البصر والبصيرة .. يرفض أن تستغل حبه وثقته في غـير ما يرجـو ..

وهو يحذرها يضع شرطه الانساني .. يضع شرطه الحر الشريف ..

بينـي وبينـك لو حفظت كرامتـي
حـب يصـان بعفـة ووقـار

وشاعرنا يفتش عن حب صادق عن أنثى تشاركه رحلة عمره بصدق واخلاص وتضحية .. عن أنثى يشرفهـا ويسعدها أن تكون الى جواره .. تمامـا كما يحس

ويشعر .. لهذا يغضب من ضيق افق المحبوبة .. ويثور عليها ..

اني كرهت الحب قيدا .. فاتركي
قلبي الطليق يعيش دون أسار

وشاعرنا بموهبته صاحب رؤيا وتطلع .. والانثى في نظره كنز ثمين انه يريدها أن تتخلص من طينتها .. وتنهض بروحها الى حيث العفة والكرامة .

مارست في الدنيا تجارب صعبة
وأشدها مقتا هوى الاغرار
هل أنت حققت الكرامة بالهوى
ان الكرامة مطلب الاحرار

أجل ان الكرامة غاية الكرام .. وهي على اختلاف وجوهها .. تحمل معنى واحدا لان جوهرها واحد .. فالكرامة في العيش .. في المعاملة في التعامل .. في العلاقات الانسانية .. في تلبية الحاجات .. والرغبات واحدة وان تعددت التسمية ..

ويقول الله سبحانه وتعالى / ولقد كرمنا بني آدم وفضلناه على العالمين / ..

والانسان الشاعر يحس بصورة اعلى بقيم الحياة . ويسعى الى تخليد المثل والمبادىء التي أرادها الله للناس .. والوسط مرفوض عند شاعرنا محمود عارف .. والحب هو المعادل الموضوعي للحرية .. للكرامة .. للحياة بأسرها .

وهنا تتجلى القيمة الشعرية لهذه المجموعة التي جاءت ذوبا من روح .. ونشيدا زاخرا بالحنان والعنفوان .. وبقدر حب شاعرنا العارف لانثاه فانه يحب الليل .. يرتاح له .. ولا يجد نفسه الا فيه .. وبقدر وفاءه للمرأة فانه يلتجي لليل يبثه خلجات نفسه .. ويكاشفه بأحلامه وآماله .. وليل شاعرنا جميل لدرجة الالفة ..

لعمرك قلب الليل .. خلناه عاشقا
يسامره بدر الدجى .. عبر أعصر

ألا ما اشد روعة هذا الليل .. وكل العشاق يحبون الليل .. ويأنسون لليل واكثر الشعراء يهيمون في الليل .. ويشتاقون لساعات هدوئه وصفائه .. والانسان الشاعر عاشق بالفطرة جامح .. كثير التبرم بالحدود والفواصل .. لهذا يرى في الليل الرحابة والسكينة وفي الجمال المعين والملاذ ..

كأنا وصمت الليل .. والهمس دائر
سمادير .. رفت في خيالات عبقري
هنا عاشق يلهو .. وآخر يشتكي
وثالث يغري صحبه بالتندر

ويردد في موضع آخر من ذات القصيدة / ودارت الايام / ..

بكل تناجينا .. فلم تبق نغمة
من الحب .. الا قد سرت فوق مزهري

ففي الليل .. أحلامي تعيش مع الهوى
وما عاش حلم الليل في وهم أزور
فيا أنها الالهام أسرارنا صدى
لماض .. فلا تنقل حديثا لمخبر

كيف يا شاعر الالهام تطلب أو ترجو ان لا تنقل الينا هذه الثروة وفي شعرك حياة عذبة .. رشيقة اللفظ .. عبيقة اللمح .. عفيفة البوح .. أتخاف أن تضيع قبل أن تطرق الاسماع .. أم تخاف ان تذاع فلا تستقر في القلوب .. أم أن تنشر فلا ترى من يلتفت اليها ويحتضنها .. انه لعمري خوف مشروع وهو خوف شاعرنا به أصيل .. جم الخصال ..

أنا الذي في الهوى ضاعت لبانته
وما لبست لباس الذل والخور

في هذا البيت نلمس جانبا من سر خوفه .. واذا كان شاعرنا قد أخفق في تجربته الخاصة .. انما نجح في نقل وتصوير هذه التجربة .. قصائد ولا أحلى .. ومن ابرع من الشاعر في تصوير أحاسيسه .؟ ومن أصدق من الشاعر في تخليد تجربته والتعبير عنها .؟ واللمحات الفنية الرائعة مبثوثة في غالبية القصائد .. لذلك نرى ان هذه المجموعة قد شكلت من خلال جوها وحدة متجانسة .. ونفحة شاعرية صافية متناغمة تدحض التهمة التي يتعلل بها أنصار

الحديث وهي أن القصيدة العامودية قوامهـا البيت الشعري وتفتقد الى الوحدة العضوية .. وينعـدم فيها التدرج في الدفق الشعري .. ولقد أثبت الشاعر محمود عارف انه شاعر متمرس .. متمكن من نفسه . مالك لادوات تعبيره .. يعرف كيف ينتقي مفرداتـه من معجم اللغة الفسيح .. ويعرف كيف يوظفهـا ويستفيد من طاقتها عندما يستجيب لدواعي الهامه . واننا نجد في قصيدته / الزنبق والشاعر / خير شاهد ومعبر .. هذه القصيدة تتفرد بجوها المميز .. وتتألق بشكل أبهى دون سائر القصائد .. انها نسيج لحظـة مواتية مشرقة .. لمعت في وجدان شاعرنا .. فاقتضبها واطلقها همسة حارة تفيض شاعرية واصالة .. وقـد حشد لها العديد من المفردات البسيطة والتي جمعت بين الليونة والقوة .. والشفافية والعمق .. والاثارة والتأثير .. ضمن سياق نغمي متواتر الدفق .. ولقـد سعى الشاعر الى اشراك عنصر ثالث / وهـو زهر الزنبق / ليكون الحوار أوسع .. والايحاء أمتع يقول الشاعر في هذه القصيدة :

يا منيـة الحب الذي اشتهـي
حنانة .. مـن نبعـك المطلـق

فحبي المجـروح .. مـن خافقي
لغير هـذا الحب لم يخفـق



لست أبـوح السـر في مـوقف
مني ومنك .. الدهر لم يطـرق

صبرت .. والصابر أعبـاؤه
فـوق احتمال الراحم المشفـق

لا عبقـر عنـدي .. ولكننـي
أعيش في رفرفـك المرتقـي

استعرض الدنيـا بألوانهـا
في لوحتي .. أروع ما أنتقـي

أهواك .. والزنبـق في روضتي
يهـواك في مرتعـه الضيـق

احساسـه عنـدك مسترفه
يعشـق مـن عينيك ما أتقـي

يا ليتـك الزنبـق في حسـه
أو ليتنـي معنـاك في الزنبـق

هذه الرشاقة والليونة واللغة الانيقة الاليفة .. وما توحيه من ظلال .. ترفع الشاعر محمود عارف الى مصاف الشعراء الغنائيين الذين احتفلوا بالرومانسية وعاشوا أجواءها وما يزال تأثير هذه المدرسة ممتدا ... هذه المرحلة يظهر في نتاج العديد من الشعراء المعاصرين وعلى امتداد الوطن العربي بأسره بصمات واضحة لا تخطئها العين المدربة .. واخيرا .. قد لا تكـ... قصائد هذه المجموعة أجود ما كتبه الشاعر محمـ... عارف لان لديه ثلاث مجموعات قيد الطبع .. فان ... اتمناه المزيد من العطاء ..

● محمد مضر سخيطة

يعتبر الشاعر أحد الرواد في المملكة العربيـ... السعودية صدر له حتى الآن اربع مجاميع شعرية تحمل العناوين التالية : « أيام من العمر » و«الرواف...» و « أرج ووهج » وهذه المجموعة .

مكتبة الثقافة

مع أحمد وهبي السمّان

وكتابه : ((عـن النقـد العربي))

من العصر الجاهلي حتى القرن العشرين

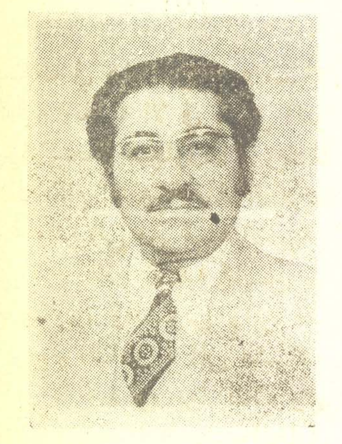
الاستاذ أحمد وهبي السمان (●) من اولئك الادباء القلائل الذين امضوا حياتهم في صحبة الكتاب ، وحفظ ذخائر الشعر والنثر والاخبار ، حتى اختزنت ذاكرته روائع تراثنا العربي الاصيل ، وشوارده النادرة ، وطرائفه المتعة ، ففدا موسوعة حية لهذا التراث المؤثل .

والاستاذ السمان في أواخر العقد السادس من عمره ، ولكنه مع ذلك يتمتع بهمة الشباب وحيويتهم . وعلى الرغم من غزارة محفوظه وسعة اطلاعه ، ما زال يتخذ من الكتاب خدينا وفياوصديقا ملازما ، بل يكاد يبدل بالصحاب الكتب ، ويقول لك بكل ما عرف عن العلماء من تواضع وخلق كريم : تراثنا العربي ضخم وعظيم ، وانا لا أزال في الطريق .

ومنذ سنوات استهواه موضوع النقد العربي على مر العصور، وبدا له ان هذا الجانب من تراثنا مهضوم الحق ، فعكف علىدراسته وقراءة ما وصلت اليه يده من مختلف المصادر والمراجع ، وراح يصل بياض نهاره بسواد ليله ، اربع سنوات كاملة ، توجها بكتاب ضخم عن ((النقد العربي من العصر الجاهلي حتى القرن العشرين)) ، ضمنه العديد من النظرات الثاقبة ، والآراء الناضجة ومع ذلك يبلغ منه التواضع أن يقول : ((مع علمي وايماني اني لم أبلغ الكمال في مضمونه فذاك فوق شاني كانسان ذي طاقة محدودة تحول بينه وبين بغيته)) .

وقد أحببنا ان نعرف القراء بهذا الكتاب الرائع ـ الذي لا يزال مخطوطا ينتظر الناشر الاريحي ـ فطلبنا من مؤلفه ان يحدثنا عن غرضه من تاليف كتابه ، وعن موضوعه ومنهجه وما اعتمد عليه من مراجع ومصادر ، وما لفت نظره او صب عليه اهتمامه فكتب الكلمة التالية مشكورا .

((محمود فاخوري))



● الاستاذ احمد وهبي السمان ●

الكتاب :

هو كتاب عن النقد العربي بدءا من العصر الجاهلي حتى القرن العشرين وذلك حسبما يشير الى ذلك عنوانه . وقد تمت كتابة مضامينه بشكل مسلسل ومتتابع تنطق بذلك وتتحدث به صفحاته التي تقارب الثمانمئة صحيفة بدءا من العصر الجاهلي فعصر النبوة فالعصر الاسلامي فالاموي فالعباسي فالعصر الحديث . وقد أثبت فيه بالحجة والدليل أن الرعيل الاول من أعلام الادب والبيان قد تناولوا النقد الادبي بكامل جوانبه وتمام موضوعاته منذ ان كان نقدا ذاتيا في العصر الجاهلي الى ان غدا واصبح مع مسيرته الزمنية نقدا موضوعيا في العصر العباسي على يد الآمدي و الجرجاني وعبد القاهر ، وكيف ان النقاد العرب القدامى اشبعوا هذا الموضوع درسا وتمحيصا فتناولوا بدراستهم هذه أدق خصائصه واوسع جنباته واشمل نواحيه واخص دقائقه ، يوضح ذلك ويظهره ويبينه ما سطرته في هذا

الكتاب الذي استغرق اعداده أربع سنوات كاملة تتابع فيها الجهد الدؤوب والجهد القاسي ، فكم من ليلة أعقبت نهارا ما أغمضت فيها العين الا نادرا ، ولاخلدت بها للراحة الا يسيرا ، بغية ان اعطي كتابا عربيا اصيلا أرضى عنه في موضوعه ودقته وامانته يشعر بها كل دارس لصفحاته وكل قارىء لكلماته فأنال رضاه واحظى بثنائه وامتنانه مع علمي وايماني باني لم أبلغ الكمال في مضمونه فذاك فوق شأني كانسان ذي طاقة محدودة تحول بينه وبين بغيته ، ولئن استغرق اعداده اربع سنوات كما قلت فلقد سبق السنين الاربع سنون وسنون اختزنت فيها نفسي الكثير من المعارف الادبية فكانت رفدا لبحره ومعينا لمحيطه .

ولقد سلكت في هذا الموضوع مسلكا زمنيا دقيقا كما اشرت إليه آنفا ، الا في بعض النواحي التي اضطرني اليها البحث لتجاوزها ، وبذلك تكون دارسته قد تناولت الاحكام النقدية منذ انطلاقتها الاولى على شفتي النابغة الذبياني من قبته الادبية في عكاظ ، مرورا بالكثير من أعلام الادب كابن سلام وابن قتيبة وقدامه والعسكري والصولي وابن طباطبا والامدي والجرجاني وعبد القاهر ، الى عشرات وعشرات من أساطين الادب كأبي عمرو بن العلاء وابي عبيدةويونس بن حبيب والاصمعي والجاحظ والخليل وابن سين والاصفهاني وابن الاثير وابن خلدون وسواهم من الاعلام والمصادر التي ادرجتها في ثنايا الكتاب بشكل بين واضح اذ مامن جملة اوردتها ، أو قول ذكرته اودليل قدمته الا واشرت الى مصدره بشكل يترك القارىء على بينة من ذلك ، وبطريقة تمكنه من الرجوع الى المصدر والمرجع متى شاء وانى اراد بكل يسر وسهولة ، تساوى في ذكر ذلك اسفار النقد العربية التراثية واصحابها ومراجع الكتب النقدية العربية المعاصرة ومؤلفوها ومصادرالكتب الاجنبيةواوضعوها وتراجمتها ككتاب : مسائل في فلسفة الفن المعاصر لجويد وكما ذكرت آنفا عطاءات الاعلام من النقاد العرب القدامى فقد ذكرت عطاءاتاعلامالنقدالعربي في العصرالحديث من نقاد وأدباء كطه أحمد ابراهيم والشيخ محمد عبده وشكري والمازني والعقاد وطه حسين واليازجي وجبران وميخائل نعيمة والمعلوف والحداد والرافعي وشوقي ضيف ومندور والنويهي وزكي مبارك وخليل مطران وسواهم وسواهم ، لعل القاء نظرة على فهرس الكتاب يعطي دليلا بعض الشيء عن المصادر والمراجع التي قرأتها وعنيت بها .

ومن هنا تبرز اهمية هذا الكتاب النقدي الذي جاء شاملا لمرحلة زمنية امتدت جناتها منذ انانطلقت الاحكام النقدية ومقاييسها وموازينها من القباب الادبية في أسواقها العربية في عصرها الجاهلي وهي تسير مع الزمن ودورته ليومنا هذا الذي اعطى اعلامه الذين تصدرت اسماؤهم آنفا آيات بينات من العطاءات الادبية النقدية الرفيعة .

ولا بد من تبيان أمرين جوهريين

الاول : هو أنني أثبت كما ذكرت آنفا وبالدليل الواضح والبيان الساطع والحجة الدامغة ان النقد العربي التراثي قد شمل كامل الجوانب وشتى النواحي النقدية .

والثاني : ان اعلام النقد العربي في العصر الحديث ولاسيما اعلام القرن العشرين وحتى يومنا هذا قد ساروا في دراساتهم النقدية ومقاييسهم واحكامهم بحسب المقاييس التي سار بها النقاد العرب القدماء في دراساتهم النقدية فالمقاييس النقدية العربية المعاصرة وأحكامها ومبادئها هي مستوحاة ومستقاة من المقاييس النقدية العربية التراثية الاصيلة وهذا ماأثبته ايضا بالبرهان والدليل ليكون هذا الاثبات حجة على من يتهم التراث العربي بالفقر والخلو والفراغ من الدراسات النقدية ، علما انني بينت بأن المقاييس النقدية التي تتعلق بالقصة والمقالة والرواية هي مقاييس مأخوذة عن النقد الاجنبي ، وهذا ما أوردته بشكل بين واضح دون لبس او غموض ، خلال بحثي عن هذه الفنون الادبية ، ان الغاية من هذا الكتاب هو تبيان الحقيقة وكشفها امام القارىء والدارس الذي سيلمسها حين يتهيأ لهذا الكتاب طبعه ونشره وتوزيعه .

هذا الكتاب الذي حرصت فيه كل الحرص ان يحقق امرين رئيسيين هما الصورة والمحتوى،والشكل والمضمون فقد صفتالكتاب بأسلوب بياني انيق يتلاءم مع عظم مضمونه وجلال محتواه فالمعنى الكريم يحتاج الى لفظ كريم وبذلك خلا من كل حشو ولغو وتناء عن كل هذر وهراء ، فجاء انيقا في اسلوبه محببا في مضمونه كريما في حديثه ونصه .

وكما حرصت كل الحرص ان يكون هذا الكتاب

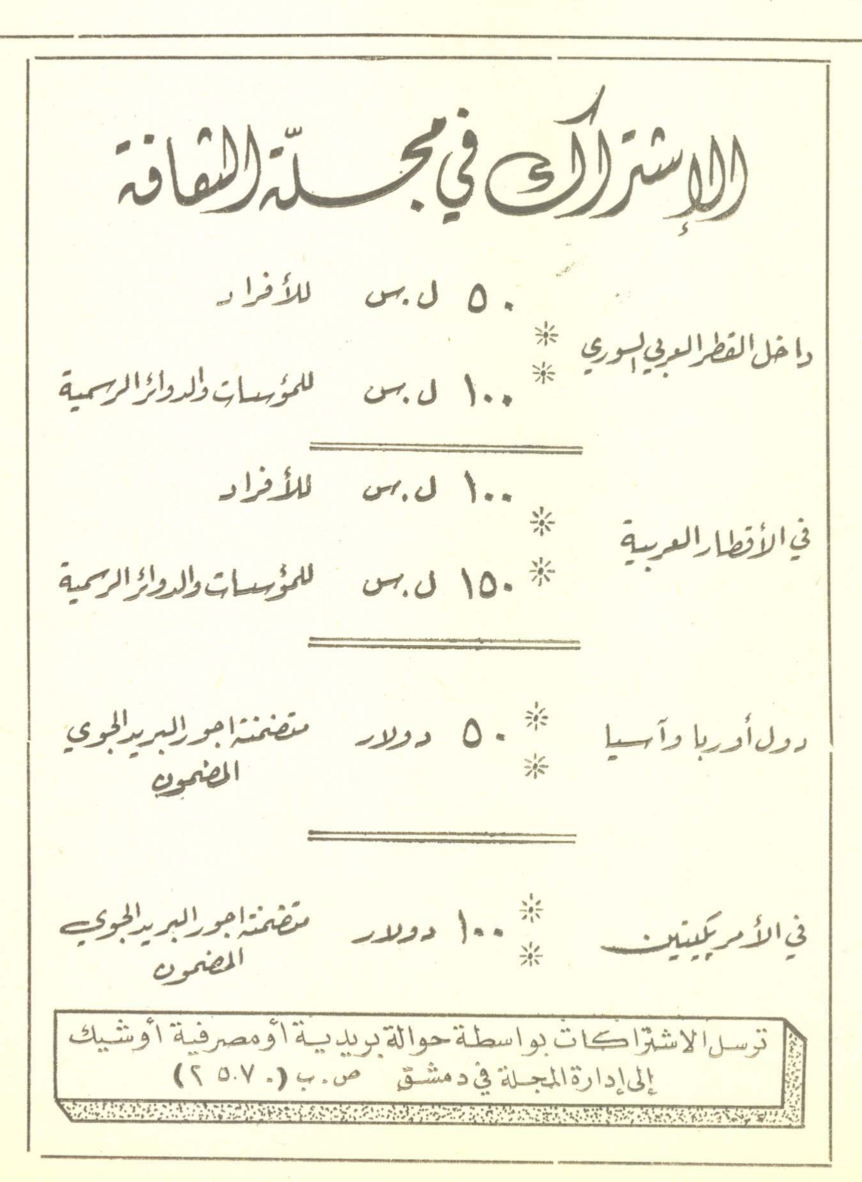
مستوفيا لشروطه من ناحية صورته ومضمونه ومحتواه فقد حرصت ان يكون نقيا من العيوب النحوية وقد تحقق لي ذلك بمعونة الاخ الكريم الاستاذ محمود فاخوري استاذ اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة حلب الذي تفضل وعمل على ضبط ذلك مشكورا .

وبذلك أكون قد اعطيت كل طاقتي وبذلت كل جهدي في اعداد هذا الكتاب الذي آمل أن اراه في يوم قريب مطبوعا منشورا كمشعل وضاء في المكتبة العربية يغذي الفكر العربي ويبهج النفس العربية الاصيلة بمضمونه التراثي العربي الاصيل ، يتدارسه كل من يمت الى الادب العربي ونقده بصلة المحبة وبالفهم والمعرفة وليكون حافزا لاعلام الادب والنقد في الوطن العربي بل ولكل من يهمه الادب العربي ونقده لاعطاء المكتبة العربية التراثية الاصيلة دراسات نقدية اصيلة تكشف عن مكنون جواهره ومستور لآلئه .

٢٠-١-١٩٨١

المؤلف : احمد وهبي السمان

(●) كانت هذه المقالة معدة للنشر في العدد الخاص الذي صدر عن كانون الثاني وشباط ١٩٨١ بالنتاج الادبي الحديث في مدينة حلب ولاسباب طباعية اجلت الى هذا العدد كذلك دراسة الكاتبة ـ مجد لطوف الواردة في صفحة ٥٦ ـ



كاتب وكتاب

محمد لطوف

الكتاب :

« طبقات الشعراء » كتاب في تراجم الشعراء وتاريخ الرجال ، والتاريخ ضربان يترادفان على معناه ولكل فضل فأوله رواية الخبر والقصة والعمل ، وعمود هذا الباب صدق الحديث ، وطول التحري والاستقصاء والتتبع ، وتسقط الاخبار من مواقعها ، وتوخي الحقيقة في الطلب حتى لا يختلط باطل بحق ، وأما التاريخ الثاني فايجاد حياة قد خرجت من الحياة، ورد ميت من قبر مغلق الى كتاب مفتوح ، وضم متفرق يتبعثر في الالسنة حتى يتمثل صورة تلوح للمتأمل . وكتابنا هذا « طبقات الشعراء » أهم كتاب وجد من تراثنا الادبي الرائع ، يعرض ألوانا من الشعر لطائفة من شعراء الدولة العباسية (المحدثين) . ويجمع اشتاتا من اخبارهم ونوادرهم ، وما لهم من علاقات وصلات . وقد أوجز ابن المعتز في هذا الكتاب فيما اشتهر في عهده ، وقصر اهتمامه على القصائد والاخبار التي انفرد الخاصة بمعرفتها ، ولهذا كان كتابه من أعظم المصادر التي لا يستغني عنها مؤرخ أو أديب ،ولا نجد في غيره ما اشتمل عليه . انه اثبت اشعارا تزيد على ألف وخمسمائة بيت لا توجد في كتاب سواه ، ولهذا كان تقويم ما صحف منها من اعسر الامور ، ولم يكن ابن المعتز راويا فحسب بل كان ذواقا للادب بطبعه ، فهو يصدر احكامه ولا يكتم اعجابه ، ونجد ذلك منبثا في كثير من الكتاب . وانفرد ابن المعتز بوصف نثري رائع لما كان عليه مجلس الامين ، وما كان فيه البرامكة من ترف ونعيم .

ويرجع للاستاذ عباس اقبال الفضل في العثور على كتاب الطبقات واظهاره اول مرة للقراء وهذا وحده كاف في استحقاقه الشكر والتقدير ، وبذل ايضا جهودا كبيرة في تحقيق نصوصه ، وكتابة دراسات قيمة باللغة الفرنسية حول الكتاب ومختصره أما عن تسمية الكتاب فان كثيرا من الذين نقلوا عن ابن المعتز سموا كتابه « طبقات الشعراء » وحمزة الاصبهاني سماه « الاختيار من شعر المحدثين » ،وعلى الرغم مما يقرره الاستاذ عباس من أن ابن المعتز ألف الطبقات في أواخر حياته اي بين عام ثلاثة وتسعين ومائتين وعام ستة وتسعين ومائتين ، ووافق على ذلك ايضا الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي في رسالته فاننا نقرر ان ابن المعز ألفه قبل عام ثمانين ومائتين للهجرة حينما كان عمره حوالي اثنين وثلاثين عاما . وأول حجة وأهمها هي الدليل نفسه الذي استند اليه اقبال وخفاجي ، فان ابن المعتز عند ذكره لمحمد بن عروس الشيرازي يقول : « وهو اليوم شاعر زمانه » ومعنى هذا انه حين ألف الكتاب كان ابن عروس حيا لم يمت. ولكن الاستاذ اقبال لم يبحث عن تاريخ وفاة ابن عروس بل ذكر انه كان معاصرا لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر الذي عاش بين مئتين وثلاثة وعشرين وعام ثلاثمائة للهجرة في حين اننا بالبحث عن ابن عروس في فوات الوفيات وتاريخ بغداد نجده توفي سنة ثمانين ومائتين للهجرة . واذا لاحظنا ان محمد بن عروس هو آخر الرجال المترجم لهم في نسختنا ، وكذلك في النسخة الاخرى التي اختصر منها المبارك بن احمد علمنا ان ختام الكتاب كان على اقصى تقدير هو مائتان وثمانون للهجرة ، هذا والكتاب ما هو الا روايات بأسانيدها لا يتناولها التغيير مهما رتبها ابن المعتز بعد ذلك ، فالمهم انه دون كل أصوله في الزمن الذي قررناه . ودليلنا الآخر هو ما شرحه المبرد المتوفى سنة خمس وثمانين ومائتين في قصيدة ابي نواس ، وأثبته ابن المعتز في الطبقات ، ولا شك انه كتبه عنه قبل وفاته ، وابن المعتز حينما يبلغ ستة واربعين عاما يكون رأسا في الادب ولا يكون من القصور والنقص في المعلومات بحيث يحتاج الى ان تشرح له قصيدة ، وانما يحتاج الى ذلك وهو في سن الثلاثين وما يقرب منها وهي سن الاخذ والتلقي والتدوين . وعلى أوسع الفروض كتب اصوله قبل وفاة المبرد أي قبل سنة خمس وثمانين ومائتين للهجرة .

اما الغاية من تأليف هذا الكتاب فقد قال فيها ابن المعتز : « عقد الفكر طرفي ليلة بالنجوم ، لوارد وردعلي من الهموم ، نفض عن عيني كحل الرقاد ، وألبس مقلتي حلل السهاد ، فتأملت فخطر علي الخاطر في بعض الافكار ان أذكر في نسخة ما وضعته الشعراء من الاشعار ، في مدح الخلفاء والوزراء والامراء من بني العباس ،ليكون مذكورا عند الناس ، متابعا لما ألفه ابن نجيم قبلي بكتابه المسمى بـ « طبقات الشعر الثقات » مستعينا

بالله المسهل الحاجات ، وسميته : « طبقات الشعراء المتكلمين من الادباء المتقدمين » .

واما عن موضوع الكتاب وما يتضمنه من مواد فابن المعتز لم يترجم فيه لجميع الشعراء العباسيين كما يجب ان يكون ، فقد اهمل مثلا يحيى بن زياد الحارثي وديك الجن وابن الرومي واكثر من عشرين شاعرا أوردهم ابن الجراح في كتاب « الورقة » وعشرات الشعراء ذكرهم صاحب الفهرست في قوائمه . وعد المرزباني عشرات في معجم الشعراء : على ان ابن الرومي بخصوصه اهمله ابن المعتز قصدا ، فابن الرومي هجا المعتز حينما خلع من الخلافة في قصيدة مطلعها :

امسى الشباب رواء عنك مستلبا
ولن يدوم على العصرين ما اعتقبا

ومن اشهر الشعراء العباسيين الذين ترجم لهم ابن المعتز بشار بن برد وابو العتاهية وابو نواس والبحتري وابو تمام .

ويحتوي كتاب الطبقات على مائة وثمان وعشرين ترجمة لشعراء وشاعرات . كما يحتوي على بعض صور من اشعارهم ونماذج من قصيدهم ، وتبدأ تلك القائمة في هذه النسخة ببشار بن برد وتنتهي بالشاعرة فضل . واما عدد الشعراء والشاعرات المذكورين في النسخة الاصلية لابن المعتز فهو مائة وواحد وثلاثون شاعرا وشاعرة مع ملاحظة أن « عمرا القصافي » مذكور مرتين .

واما المنهج الذي اتبعه ابن المعتز في كتابه الطبقات فهو انه اولا يورد اسم الشاعر الكامل ونسبه المتسلسل وقبيلته ثم يتحدث عن أخباره وروايات تتحدث عنه ثم يذكر ما يستحسن من شعره المعروف عند الخاصة فقط من الناس . وهو لا يتبع في ترتيب الشعراء في كتابه منهجا خاصا أو تصنيفا هجائيا يأخذ بأوائل أسماء الشعراء . ولكنه وضع للكتاب فهرسا كبيرا للشعراء الذين ترجم لهم مع مراجع عن حياتهم .

واما عن طبعاته فانني لم أجد سوى الطبعة التي بين يدي الآن والتي حققها عبد الستار احمد فراج وطبعها في شوال سنة خمس وسبعين وثلاثمائة والف للهجرة وسنة تسعة وخمسين وتسعمائة والف للميلاد .

وعن مختصره فالمختصر الذي بالإسكوريال هو الاثر الوحيد للطبقات واسمه « مختصر طبقات الشعراء لابي العباس عبد الله بن المعتز » . ولايعرف لهذا المختصر نسخ اخرى - والمختصر تسع واربعون ورقة فقط بدأه المؤلف حوالي تسعين وخمسمائة للهجرة وكمله في سنة ثلاثين وستمائة للهجرة ولهذا فالكتاب يبدو كأنه بخطين مختلفين ولكن بعض التدقيق يرينا ان الخطين لكاتب واحد . وصاحب المختصر هو ابو البركات المبارك بن احمد الاربلي المتوفى سنة سبع وثلاثين وستمائة للهجرة وعندما اختصر المبارك ابن أحمد كتاب الطبقات حذف المقدمة الموجودة في النخة الاصلية ولخص ما اطنب فيه ابن المعتز من التراجم ، وترك بعض الطرائف ، وكانت لديه بعض المؤلفات الاخرى اشار اليها في المختصر . ورغم اطلاعه وقع في بعض الاخطاء وبخاصة في القسم الاول ايام شبابه فقد نسب الى بعض الشعراء ابياتا حسبها من قولهم .

المؤلف :

مؤلف هذا الكتاب هو ابن المعتز واسمه الكامل عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ، ولد في بغداد عام سبعة واربعين ومائتين للهجرة على اكثر الاقوال ، نشأ في دار الخلافة ودرس علوم اللغة والدين على مؤدبه الخاص احمد بن سعيد الدمشقي الذي صار فيما بعد أحد رواة شعره ، واخذ الادب ايضا عن أبي العباس المبرد وابي العباس ثعلب وابي علي الغنزي والبلاذري المؤرخ ، وكان مجلسه ملتقى العلماء والشعراء والكتاب ، تكثر فيه الرواية وتدور المناقشات العلمية والادبية المفيدة . وكان عبد الله بن المعتز اديبا بليغا شاعرا مطبوعا مجودا مقتدرا على الشعر ، قريب المأخذ ، سهل اللفظ جيد القريحة حسن الاختراع للمعاني ، فمن ذلك قوله :

تقول العاذلات تعز عنها
واطف لهيب قلبك بالسلو

وكيف وقبلة منها اختلاسا
الـذ من الشماتة بالعدو

ومما أحسن فيه قوله عبيد الله بن سليمان :

لآل سليمان بن وهب صنائع
الي ومعروف لدي تقدما

هم علموا الايام كيف تبرني
وهم غسلوا من ثوب والدي الدما

وما كان ادب عبد الله ليتناقض واشتغاله بالسياسة لولا أن الحوادث المؤلمة التي تتابعت على بيته بعد قتل جده المتوكل على الله فسلبته قوته وافقدته سلطانه الفعلي والتي طالما تحدث عنها في شعره ، وحملته على ان ينبذ السياسة نبذا تاما فزهد بالملك ونفض يديه من الخلافة وقصر جهوده على ارضاء عقله وجسمه ، فأدرك من لذة العقل ولذة الجسم ما أراد .

واذا أمعنا النظر في اخباره وشعره نرى انه رجل بحث ودرس ورجل نديم وكأس ، يقضي جزءا غير يسير من وقته في الدرس والتفكير والتأليف وقرض الشعر ، ويقضي جزءا غير يسير منه كذلك في مغازلة الحسان ومعاقرة الندمان والخلو الى الطبيعة والاستمتاع بجمالها الساحر وبسماع الموسيقى والخروج الى الصيد وغير ذلك من ضروب اللهو والتسلية . وقد وصف جده واقباله على البحث والدرس بقوله :

شغلي اذا ما كان للناس شغل
دفتر فقه أو حديث او غزل

وعبر عن رغبته الصادقة في الاستمتاع بمباهج العيش ولذات الحياة بقوله :

قم نصطبح فليالي الوصل مقمرة
كأنها باجتماع الشمل أسحار

فخذ بحظ من الدنيا فلذتها
تفنى وتبقى روايات واخبار

ولكنه في يوم من الإيام جرت له الكائنة في خلافة المقتدر واتفق معه جماعة من رؤساء الاجناد ووجوه الكتاب فخلعوا المقتدر يوم السبت لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين وبايعوا عبد الله ابن المعتز ولقبوه المرتضى بالله وقيل : المنصف بالله وقيل الغالب بالله وقيل الراضي بالله ، واقام يوما وليلة ثم ان اصحاب المقتدر تحزبوا وتراجعوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشنقوهم مع الوزراء والقادة والقضاة كانوا جميعا في جانب عبد الله ، واعادوا المقتدر الى دسته واختفى ابن المعتز في دار أبي عبد الله بن الحسين المعروف بابن الجصاص الجوهري فأخذه المقتدر وسلمه الى مؤنس الخادم الخازن فخنقه وسلمه الى أهله ملفوفا في كساء ، فدفن في خربة بجوار داره في اليوم الثاني من ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين للهجرة وبهذه الطريقة المحزنة انتهت حياة عبد الله التي طالما كانت حياة لهو ومرح وسرور .

ولابن المعتز مؤلفات عديدة منها

١ – كتاب الزهرة والرياض
٢ – كتاب الجوارح والصيد
٣ – كتاب أشعار الملوك
٤ – كتاب الجامع في الغناء
٥ – كتاب الآداب
٦ – كتاب السرقات
٧ – كتاب مكاتبات الاخوان بالشعر
٨ – أرجوزة في ذم الصبوح
٩ – كتاب طبقات الشعراء الذي استعرضناه هنا

كلمة الختام :

هذا ويبقى الادب العربي غنيا بالكتب والكتاب ، خاصة في العصر العباسي الذي ازدهرت فيه الكتابة ، فكان تاريخا حافلا للعرب في طلب العلم والمعرفة وتسجيل كل ذلك في كتب كانت تثري المكتبة العربية لولا غزو المغول أعداء العلم والكتب والكتاب .

● حلب : مجد لطوف
طالبة في كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية : جامعة حلب

المراجع :

١ – في الادب العباسي
٢ – شذرات الذهب / ج ٢ /
٣ – مروج الذهب / ج ٤ /
٤ – طبقات الشعراء نفسه .

أخبار أدبية

● جمعيات اتحاد الكتاب العرب ●

نتيجة الانتخابات التي جرت في اتحاد الكتاب العرب للقطر العربي السوري لانتخاب مقررين وامناء سر للجمعيات المشكلة من (جمعية الشعر ، جمعية القصة والرواية ، جمعية النقد الادبي ، جمعية البحوث والدراسات ، جمعية المسرح) فاز كل من السادة التالية اسماؤهم وتوزع الجدول على الشكل التالي :

● **جمعية الشعر :**

- الاستاذ مدحة عكاش مقررا
- اسماعيل عامود امينا للسر

● **جمعية القصة والرواية :**

- الدكتور اسكندر لوقا مقررا
- الاستاذ عبد الله ابو هيف امينا للسر

● **جمعية النقد الادبي :**

- الاستاذ محمد ابو خضور مقررا
- الاستاذ عيسى فتوح امينا للسر

● **جمعية البحوث والدراسات :**

- الدكتور عمر موسى باشا مقررا
- الدكتور عبد الرزاق جعفر امينا للسر

● **جمعية المسرح :**

- الاب الاستاذ الياس زحلاوي مقررا
- الاستاذ احمد يوسف داوود امينا للسر

تاريخ الدولة السعودية حتى القرن العشرين

● عن دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع - صدر حديثا في جدة - كتاب جديد في (تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الاول من القرن العشرين) للدكتور مديحة احمد درويش وكيلة كلية الآداب والعلوم الانسانية - قسم الطالبات - بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

يتناول الكتاب الدولة السعودية في مراحلها الثلاث : فيتحدث عن نشأة الدولة السعودية الاولى ، وحياة مؤسسها محمد بن سعود ، كما يتحدث عن قيام الدولة السعودية الثانية ، واسباب الحرب الاهلية في ايامها ، ويتحدث عن اعادة بناء الدولة السعودية على يدي الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن مؤسس المملكة العربية السعودية ، والانجازات الاجتماعية والاقتصادية التي تمت في عهده .

ومن هنا - بنت المؤلفة كتابها على ثلاثة فصول ، يسبقها اهداء ومقدمة وتمهيد ، ويقفوها ثبت بمصادر الكتاب وثبت بالاعلام والقبائل ، وثبت بالاماكن والبقاع ، ومجموعة من الخرائط والرسوم التوضيحية .

أهدت المؤلفة كتابها الى روح والدها ، وفي المقدمة تحدثت عن موضوع الكتاب ، والمقصود بالدولة السعودية فيه ، وتكلمت على منهجها في اعداد الكتاب واقتصار دراستها على تاريخ المملكة الى الربع الاول من القرن العشرين ، وافردت التمهيد للكلام على أحوال شبه الجزيرة العربية قبل الدولة السعودية .

يقع الكتاب في مائتين واربع وعشرين صفحة - من الحجم الكبير .

● الشاعر محمد منذر لطفي ●

● «المتنبي وبعض قضايا العصر» المجموعة الشعرية الثامنة للصديق محمد منذر لطفي صدرت ضمن منشورات اتحاد الكتاب العرب في سورية وقد عرفت قصائد هذه المجموعة على انها قصائد تحمل لغة عربية صافية وموسيقا شعرية ما تزال امينة على عهد بحور الشعر العربي وأوزانه . مواضيعها في الطبيعة والحب ، والوطن ، وعدد من المراثي قيلت في بعض اصدقائه من الادباء الراحلين .

● من نافذة الحب ●

صدر في دمشق ديوان « من نافذة الحب »، للشاعر الدكتور ظافر ابو ريشة ..

تتسم قصائد الديوان الجديد بالصوفية المتأثرة بابن الفارض ، وتستغرق في تصوير الانطباعات النفسية ، المتفجرة من انفتاحات الضغوط النفسية .. الى جانب انعطاف يسير نحو اشارات رمزية.

● قصائد وهموم ●

عنوان المجموعة الشعرية الاولى للشاعر ابراهيم الجرادي ، التي صدرت مؤخرا في دمشق .

والشاعر الجرادي ، واحد من عرف عنه التجريب المدعم بالتنظير النقدي ، حيث كتب القصيدة التشكيلية والريبورتاج الشعري في محاولة لتحطيم الطوطمية في بنية القصيدة والوصول بها الى شكل جديد ، هو مزيج من وسائل تعبيرية عدة



ديوان ابراهيم فوده
في خمسة مجلدات

قدم الاستاذ الشاعر ابراهيم فوده رئيس نادي مكة الثقافي المجموعة الاولى من شعره وتشمل خمسة مجلدات تحتوي على شعره في الفترة السابقة وهي فترة الشباب ومعلوم ان الاستاذ الفودة من كبار شعراء المملكة العربية السعودية .

* * *

« تاريخ الحجاز »

للاستاذ عمر رفيع

من المطبوعات الحديثة التي قدمها نادي مكة الثقافي للمطبعة ـ كتاب تاريخ الحجاز للمرحوم الاستاذ عمر رفيع .

ويعتبر هذا الكتاب من المراجع التاريخية القيمة كما قدم النادي مجموعة من الكتب الادبية والدواوين الشعرية للمطبعة وسوف تصدر قريبا بعون الله .

* * *

معرض الرياض الثالث للكتاب

● تحت رعاية وزارة المعارف يقام هذه الايام ، في رحاب دار الكتب الوطنية بالرياض معرض الرياض الثالث للكتاب ..

وكان الشيخ ابراهيم الحجي وكيل وزارة المعارف للشؤون الثقافية ـ قد افتتح المعرض ، في احتفال دعي اليه عدد من رجالات الفكر والادب في المملكة العربية السعودية .

استمر المعرض عشرة ايام ويشترك فيه نحو من عشرين دارا محلية للطباعة والنشر والتوزيع ويضم نحوا من اربعة عشر الف عنوان من مختلف الوان المعرفة الانسانية .

المدينة المنورة
واول بلدية في الاسلام

عن ادارة الثقافة العامة ببلدية المدينة المنورة صدر مؤخرا كتاب جديد من تأليف الاستاذين صدقة حسن خاشقجي ومحمد عبد الجليل النمر . عنوانه « المدينة المنورة » واول بلدية في بلاد الاسلام ،ولهذا الكتاب اهمية كبيرة في توضيح مكانة هذه المدينة من التاريخ الاسلامي .

* * *

الموجز في تاريخ الطائف

● في الطائف ـ صدر حديثا عن دار الحارثي للطباعة والنشر ـ كتاب جديد للاستاذ مناحي ضاوي القثامي ، عضو مجلس ادارة النادي الادبي بالطائف، عنوانه (الموجز في تاريخ الطائف قديما وحديثا) .

يتضمن الكتاب مباحث طريفة تناولت ـ على وجازتها ـ مدينة الطائف عبر تاريخها الطويل في شيء كثير من الاستقصاء والافادة مما كتب عنها في القديم والحديث ، فأتت على موقعها ومناخها واهميتها في في الجاهلية والاسلام ، وسكانها عبر عصورها ، وزراعتها وصناعتها وتجارتها واوديتها وجبالها وقراها وآثارها وسدودها ورجالها،واقوال الناس فيها،وكان المؤلف قد نشر بعضا من هذه المباحث في « ملحق التراث » قبل نحو عامين الملحق الذي يصدر في المملكة العربية السعودية .

* * *

انشاء أول متحف تعليمي بالمملكة

العربية السعودية

● تقوم الادارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف بالرياض ـ هذه الايام ـ بدراسة مشروع انشاء أول متحف تعليمي بالمملكة ـ يوضح نشأة التعليم فيها والتطور الذي حدث في مراحله المختلفة، والتقدم في الوسائل التعليمية ، ويبرز دور رواد التعليم القدامى والمحدثين في الحركة التعليمية السائرة بخطى سريعة في مختلف الوسائل السمعية والبصرية والتوضيحية ، وسيخرج هذا المشروع الى حيز الوجود حين يتم الانتهاء من وضع الخطوط العريضة لتنفيذه ، وترصد الاموال اللازمة لانجازه .

التراث

● دقائق التفسير ، للامام ابن تيمية (تقي الدين ابي العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام) ، جمع وتحقيق الاستاذ محمد السيد الجليند ،القاهرة نشر دار الانصار ١٩٧٩ الجزء الثاني في ٣٦٤ صفحة .

● الامام القرطبي ، ومنهجه في التفسير ، تأليف الدكتور القصبي محمود زلط ، القاهرة دار الانصار سنة ١٩٧٩ ، في ٤٨٦ صفحة .

● ديوان مجنون ليلى ، قيس بن الملوح بن مزاحه ابن قيس بن عدي العامري ـ جمع وتحقيق وشرح الاستاذ عبد الستار احمد فراج ـ القاهرة مكتبة مصر ١٩٧٩ في ٢٤٢ صفحة .

● قيس ولبنى ، شعر ودراسة ، جمع وتحقيق الدكتور حسين نصار ـ مكتبة مصر ١٩٧٩ في ١٨٦ صفحة .

● يصدر قريبا الجزء الثاني والعشرون من نهاية الارب للنويري بتحيق الاستاذ محمد جابر عبد العال الحيني وسوف يطبع بالهيئة العامة للكتاب .

● المعلم بفوائد مسلم ، لابي عبد الله المازري المتوفى ٥٣٦ هـ ، يقوم بتحقيقه الاستاذان موسى الشريف ومتولي خليش عبد الله ، ويقع في جزاين الاول ينتهي بكتاب المساقاة ، ويبدأ الثاني بكتاب التفليس وسوف يقوم بنشره المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

● مدارج السالكين لابن قيم الجوزية يعاد طبعه الآن تحت اشراف الدكتور محمد كمال جعفر بتحقيق لجنة من اساتذة مركز تحقيق التراث بالهيئة العامة للكتاب .

● كتاب الخطط التوفيقية : يطبع الآن بطريقة الفارسي ، يعيد مركز تحقيق التراث الجزء الاول منه بالاوفست ، ويطبع الثاني والثالث ، ومن المعروف ان الكتاب حقق بواسطة الاساتذة علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي ومن المنتظر ان يصدر قريبا .

● كتاب الخط التوفيقية : يطبع الآن بطريقة الاوفست في مطبعة مركز تحقيق التراث وقد تم طبع الاول وينتظر ان يطبع الثاني والثالث بطريقة الاوفست والرابع بطريقة الجمع ، ويوالي المركز طبع الباقي وهو يقع في عشرين جزءا ، وسوف يعمل كشاف لكل خمسة اجزاء ، ثم يعمل فهرس إعام للكتاب كله .

صدور مخطوط عن معهد التراث

قارب معهد التراث العلمي العربي على انهاء طباعة كتاب « مراسم الانتساب في معالم الحساب » ليعيش بن ابراهيم الاموي من تحقيق الدكتور احمد سليم سعيدان ويشتمل المخطوط على تعريف لصور

الارقام ومراتبها ، ثم يتناول عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة والجذور التربيعية ، على الاعداد الصحيحة ثم ينتقل الى الكسور فيعالج كيف تجري هذه العمليات عليها ثم يبحث في النسبة والتناسب ومن ذلك ينتقل الى الجبر والمقابلة .

* * *

في ذكرى ابن عساكر

● في ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادة مؤرخ الشام الكبير ابن عساكر (الحافظ ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ثقة الدين) الذي ولد عام ٤٩٩ هـ ، واحتفل بذكراه العام الماضي ١٣٩٩ هـ .

اصدر المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بوزارة التعليم العالي بالجمهورية العربية السورية كتابين :

الاول : يتضمن ما يلي :

ا ـ ابن عساكر في المراجع القديمة .
ب ـ ابن عساكر في المراجع الحديثة .
ج ـ ابن عساكر في المراجع بحوث المستشرقين .
د ـ آثار ابن عساكر في خزائن المخطوطات .

الثاني : ويتضمن :

الكلمات والبحوث والقصائد التي القيت بهذه المناسبة ، وتشمل البحوث بصفة خاصة ما يلي :

ا ـ ابن عساكر ونشاطه العلمي	٣ ابحاث
ب ـ دمشق في مؤلفات ابن عساكر	٤ ابحاث
ج ـ عصر ابن عساكر ومجتمعه	٤ ابحاث
د ـ مؤلفات ابن عساكر ومصادرها	٤ ابحاث
هـ ـ منهج ابن عساكر ومنزلته التاريخية	٦ ابحاث
و ـ المجتمع العربي من خلال مؤلفات ابن عساكر	٥ ابحاث

وقد صدر الكتابان عام ١٩٧٩ م ، ١٤٠٠ هـ في ذكرى الاحتفال بالقرن الخامس عشر للهجرة النبوية .